مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 46 . العدد 6

1445 هـ - 2024 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. وليد حماده	**رئيس التحرير**

مدير مكتب مجلة جامعة البعث

د. إبراهيم عبد الرحمن

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (40000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (100000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (6000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الهوية الوطنيّة السوريّة (الجزيرة السوريّة نموذجا،1920-1958)	د. وائل علي سعيد	44-11
السّرد القصصيّ في شعر الحرب في تغلب قبل الإسلام (دراسة تطبيقيّة)	د عبد الكريم يعقوب د. رباح علي جميل فايز إسكندر	74-45
تنمية الموارد البشريّة في ريف محافظة درعا دراسة تحليلية	طارق العوده د. أميرة عرقسوسي د. شفاء المصري	108-75
معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس	زياد مريم د. أسعد ملي د. ماجد أبو حمدان	148-109

الهوية الوطنيّة السوريّة (الجزيرة السوريّة نموذجا، 1920-1958)

د. وائل علي سعيد[1]

ملخص باللغة العربية

تنوس الهوية الوطنية السورية بين الهويات ما دون وطنيّة (الطائفيّة والعشائريّة والإثنيّة العِرقيّة) والهُويّات ما فوق وطنيّة (العربيّة والإسلاميّة والاشتراكيّة العلمانيّة)، بالتالي لم توجد هوية وطنية سوريّة تنضبط بالحدود السياسيّة الحالية للقطر العربي السوري.

سعينا في هذا البحث الى اكتشاف سبب ذلك، فوجدنا أن الهُويّة الوطنيّة هُويّة ثقافيّة، في جوهرها، وبهذا تعود الى أصل اجتماعي، أي من الجماعة، لذلك لوضع تعريف للهُويّة الوطنيّة السوريّة لا بد أولا من وجود جماعة سورية، ذات حدود منسجمة مع الحدود السياسية، من جهة ومن جهة أخرى متفاعلة بشكل متكامل.

ووجدنا أن هذا الأمر لم يتحقق بسبب نمط الإنتاج الكولونيالي الذي تم فرضه بطريقة أو بأخرى على المجتمع السوري عموما ومجتمع الجزيرة السورية خصوصا، من قبل الاحتلال الفرنسي المباشر. هذا الأمر أعاق تطور المجتمع السوري ودخوله في المرحلة المدنية، بشكل كامل فبقي ينوس بين المرحلتين الطبيعية والمدنية.

وبهذا تأججت الهويات ما دون وطنيّة (الطائفيّة، القَبَليّة، الإثنيّة العِرقيّة) بفعل سعي الجماعات ما دون وطنيّة (الطائفة والعشيرة والإثنية العرقية) إلى تكريس حضورها

[1] جامعة البعث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، قائم بالأعمال. عنوان المراسلة الإلكترونية wsaed@albaath-univ.edu.sy

الاجتماعي السياسي، في حين سعت الجماعات المدنيّة (الأحزاب وغيرها) الى بناء هُويّات ما فوق وطنيّة (العروبة والاشتراكيّة العلمانيّة والإسلامية السياسية)، لكنها كانت ضعيفة عموما بالمقارنة مع الهويات ما دون وطنية.

إذن بناء هُويّة وطنيّة سوريّة يتم من خلال بناء جماعة وطنيّة متكاملة، وهذا يستلزم بدوره الخروج من نمط الإنتاج الكولونيالي، لذلك لا بدّ من العمل على تحقيق بنية اقتصاديّة سياسيّة مستقلة عن البنية الأوربيّة الغربية.

الكلمات المفتاحية:

الهُويّة الوطنيّة، الهُويّة الثقافيّة، نمط الإنتاج الكولونيالي، القَبَليّة، الطائفيّة، الإثنيّة العِرقيّة.

Syrian National Identity (Syrian Island as A Model, 1920-1958)

Ph.D. Weal Ali Saed[2]

Abstract:

The Syrian national identity swings between identities under the patriotism (sectarian, tribal, and ethnicity) and the identities above the patriotism (Arabic, Islamic, and secular socialist), and therefore there was no Syrian national identity that is controlled by the current political borders of the Syrian Arab country.

In this research, we sought to discover the reason for this, and we found that the national identity is a cultural identity, in its essence, and thus it belongs to a social origin, that is, from the group, so to put a definition of the Syrian national identity, it is necessary to first the presence of a Syrian group, integrated in an integrated manner.

We found that this matter was not achieved due to the colonial production pattern, which was imposed in one way or another on the Syrian society in general and the Syrian island community in particular, by the direct French occupation. This matter hindered the development of Syrian society and its entry into the civilian

[2] Al –Baath University, College of Arts and Humanities, Department of Philosophy, Chargé d'Affairs. Email: wsaed@albaath-univ.edu.sy

stage, completely, and it remained in the nature of the two phases of nature and civil.

Thus, the identities are strengthened under the patriotism (sectarian, tribal, ethnic, ethnic) due to the endeavors of the groups without patriotism (sect, clan, and ethnicity) to devote their political political presence, while civil groups (parties and others) sought to build identities above patriotism (Arabism and socialism Secular /Islamic), in other words, no group of groups that make up the Syrian social fabric seek to build a national identity that is controlled by the borders of the Syrian Arab country.

We found this matter; Any building a Syrian national identity that is carried out through the construction of an integrated national group, and this in turn requires the exit from the colonial production pattern, so it is necessary to work to achieve a political economic structure independent of Western European structure; Because this allows the construction of an integrated national group with a specific national identity.

Keywords:

National identity, Cultural identity, Colonial Production Pattern, Sectarianism, Tribalism, Ethnicism

الهُويّة الوطنيّة السوريّة (الجزيرة السوريّة نموذجا، 1920-1958)

د. وائل علي سعيد[3]

1 المقدمة:

لم توجد جماعة طالبت ببناء هُويّة وطنيّة سوريّة، تتطابق مع الحدود السياسية للقطر العربي السوري، الهُويّة الوطنيّة السورية التي بقيت حبرا على الورق منذ توقيع الفرنسيين على معاهدة لوزان، واستمر الوضع في حالة نوسان بين الهويات ما دون وطنيّة والهويات ما فوق وطنيّة بسبب نمط الإنتاج الكولونيالي، الذي منع بناء طبقة اجتماعية بوصفها جماعة تتمتع بهُويّة ثقافيّة قادرة على أن تكون نواة للهُويّة الوطنيّة السوريّة.

2 إشكالية البحث وأسئلته:

تقوم إشكالية البحث في محاولة وضع مفهوم الهوية الوطنية السورية، وفي البحث عن ذلك المفهوم في عالم الممكن، وفي عالم الواقع الفعلي.

فالهوية الوطنية السورية أو المواطنة تتكون من ثلاث علاقات متفاعلة هي العلاقة بالأرض، والعلاقة بالدولة، والعلاقة بالآخر، فهل تتفاعل هذه العلاقات بصورة سوية في سورية، وهل هذا التفاعل بعيد عن الشرط التاريخي، وعن بنية المجتمع، المحددة بمرحلة عمرية من مراحل صيرورة نموه، اختار البحث أن يحددها بين عامي 1920 و 1958 ضمن منطقة جزئية من سورية؛ هي منطقة الجزيرة السورية، حيث تعكس العلاقات الاجتماعية (العشائرية والطائفية والطبقية والدينية والعروبية والمكانية الجغرافية) الجزراوية بكل أنواعها صورة نمطية عن المجتمع السوري عموما.

[3] جامعة البعث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، قائم بالأعمال. عنوان المراسلة الإلكترونية wsaed@albaath-univ.edu.sy

لذلك ينطلق البحث من الأسئلة المركزية التالية:

1. ما الهُويّة الوطنيّة السوريّة في الجزيرة السوريّة بين عامي 1920– 1958؟
2. هل تمتلك الهوية الوطنية السورية شروط إمكانها؟
3. ما أسباب الفشل في مرحلة الاستقلال في تكوين هُويّة وطنيّة سورية تتطابق مع الحدود السياسية للقطر العربي السوري، بحيث تعلو فوق الهويات ما دون وطنية (الطائفيّة والإثنيّة العِرقيّة والقَبَليّة)، وتنخفض عن الهويات ما فوق وطنية (العروبة والإسلامية والاشتراكية العلمانية)؟
4. لماذا استمرت تلك الهُويّات ما قبل وطنيّة في البقاء، إن لم نقل إنّها ازدادت قوّة؟

3 أهداف البحث

يهدف البحث الى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد الهُويّة الوطنيّة السوريّة في الجزيرة السوريّة، ووضع تعريف لها.
2. تحديد شروط إمكانها؛ أي تحديد أسباب الفشل في سوريّة في مرحلة الاستقلال في تكوين هُويّة وطنيّة تتطابق مع الوطن السوري، بحيث تعلو فوق الهُويّات ما دون وطنيّة (الطائفيّة والقَبَليّة والإثنيّة العِرقيّة) من جهة ومن جهة أخرى تنخفض دون الهُويّات فوق وطنيّة (قوميّة عربيّة وإسلاميّة وعلمانيّة).
3. تحديد سبب استمرار تلك الهُويّات ما قبل وطنيّة وما فوق وطنيّة في البقاء، وازدياد قوتها.

4 فرضية البحث:

انطلق البحث من الفرضية التالية:

يفترض هذا البحث أن الجماعات المكونة لبنية المجتمع السوري الأهلي/ الطبيعي (القبيلة والطائفة والإثنيّة العرقيّة) بقيت فاعلة ضمن بنية المجتمع السوري المدنيّة (الأحزاب والنقابات والجمعيات التعاونيّة والاتحادات الطلابيّة وغيرها) بسبب نمط الإنتاج الكولونيالي. ولذلك بقيت الهُويّات ما دون وطنيّة [القَبَليّة والطائفيّة والإثنيّة العرقيّة) والهُويّات ما فوق وطنيّة (العروبة والإسلامية والعلمانيّة) فاعلة، وهذا يعني: أن إقامة

الهُويّات ما فوق وطنيّة (العروبة والعلمانيّة والإسلام السياسي) إنّما تمّ من خلال جماعات مجتمع مدني [الأحزاب والنقابات والجمعيات والاتحادات وغيرها) ضعيفة نسبيا بالمقارنة مع جماعات المجتمع الطبيعي / الأهلي (القَبيلة والطائفة والإثنيّة العرقيّة).

5 مصطلحات البحث الإجرائيّة

5.1.1 الهُويّة الثقافيّة

أن التماثل بين مجموعة من الأفراد في المعايير الثقافيّة، لا يجعلهم على هُويّة ثقافيّة، لأنه شرط لازم غير كاف، فالهُويّة الثقافيّة، تنشأ عندما يقوم هؤلاء الأفراد باستثمار ذلك الاتفاق أو التماثل فيما بينهم بوصفهم جماعة بالتفاعل مع جماعات أخرى بناء على ذلك المعيار المشترك فيما بينهم والمختلف عما يوجد في الجماعات الأخرى[4].

5.1.2 الطائفيّة، القَبَليّة، الإثنيّة العرقيّة.

الطائفيّة سياسة الطبقة البرجوازيّة الكولونياليّة[5] التي تعتمد على شد العصب الطائفي أو القبلي أو الاثني العرقي لربط الطبقات الكادحة بها، وضمان استمرارها في مواقع السلطة العليا، فيبدو المجتمع عندها منقسما بشكل عمودي. ولا نرى فرق نوعي بين الطائفيّة وبين القَبَليّة أو النزعة الإثنيّة العرقيّة.

6 الدراسات السابقة

6.1 تعريف الهُويّة الوطنيّة

يسعى الدكتور حسام عبد الرحمن في بحثه المعنون "**الهوية الوطنيّة السورية، رهانات المعنى وجدليات منطق مصالح الدولة والأمة والعالم**"، المنشور عام 2020، في مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية في جامعة تشرين، إلى تحديد الهُويّة الوطنيّة السورية بقوله: "احتوى الفضاء السياسي السوري – وبشكل مكثف بعد الاستقلال – ثلاث خطابات،

[4] انظر الفتلاوي علي عبد الكاظم كامل. (2012). مقاربة الهُويّة الوطنيّة سوسيولوجيا. *مجلة المنتدى الجامعي*، (4): 127- 162ص144 نقلا عن عزيز حيدر، دور المقاومة الثقافية في صياغة الهوية الجماعية: دراسة في الهوية الجماعية للعرب في إسرائيل المستقبل العربي السنة الثامنة عشر العدد 205 آذار مارس 1996 ص -29 30

[5] انظر مهدي عامل، (2003) في الدولة الطائفية، ط3، بيروت، دار الفارابي، ص 234.

عبرت عن ثلاث مرجعيات متنافسة متصارعة ... عربية وإسلامية وشامية[6]" حيث يقصد الباحث بالعربيّة الانتماء إلى الأمة العربيّة جمعاء من المحيط إلى الخليج، بينما الهُويّة الإسلاميّة فتبدو بالانتماء إلى الأمة الإسلاميّة على امتداد العالم باختلاف أعراقها ولغاتها ومجتمعاتها، في حين يحدد الهُويّة الشامية بالانتساب إلى بلاد الشام التي تضم تاريخيّا سورية الحاليّة ولبنان والأردن وفلسطين. وهو من التعاريف الموضوعيّة للهُويّة، والتي تقع على المستوى ما فوق وطني.

في حين تضع الدكتورة إنصاف حمد في بحثها المعنون **"عن الهُويّة الوطنيّة السوريّة محاولة في التعريف وفض الغموض والالتباس**" المنشور عام 2019 ضمن أعمال مؤتمر الهوية الوطنيّة قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السوريّة، في مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، تعريفا منطقيا للهُويّة الوطنيّة السورية، بالحدّ التامّ، وهو التعريف الذي يتألف من الجنس القريب والفصل، ويقول في صيغته المقترحة "السوريّ هو كلّ مواطن من مواطني الدولة السوريّة، يشعر بالانتماء لسورية ويدين بالولاء لها"[7] وتقصد بالمواطنة العلاقة القانونيّة بين الدولة والفرد (بغض النظر عن لغته وعرقه)، والحصول بذلك على جنسيّة هذه الدولة، أمّا الانتماء فهو الصدى النفسي الداخلي الإيجابي لتلك العلاقة والذي يظهر بالمحبة والألفة، وبهذا يكون من التعريفات الذاتيّة للهُويّة، والذي ينسجم مع حدود الوطن السوري، بأن حصرت العلاقة بالدولة السوريّة. وهذا ما لم يتمكن منه التعريف الموضوعي، لكن هذا الطرح سوف يلتقي بسؤال عن كيفية تحويل الانتماء إلى الوطن السوري، بدلا من الانتماء الى القبيلة أو الطائفة أو الإثنية العرقية، إذ يرى البحث أن الانتماءات ما دون وطنيّة موجودة ضمن النسيج السوري لكن إمكانيّة التعالي عليها، أمر ممكن لصالح الانتماء إلى الوطن السوري، حيث "تعمل سياسات الهُويّة هنا على دمج هذه الانتماءات وإزالة التعارض منها لصالح هُويّة مشتركة تعمل لصالح الجماعة"[8] علما أن ذلك لا يعني إلغاء الانتماءات ما دون وطنيّة،

[6] عبد الرحمن، حسام. (2020). الهوية الوطنيّة السورية رهانات المعنى وجدليات منطق مصالح الدولة والأمة والعالم. مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية. 42 (1): ص674-673.

[7] حمد، إنصاف. (2019). عن الهُويّة الوطنيّة السوريّة محاولة في التعريف وفض الغموض والالتباس. مؤتمر الهُويّة الوطنيّة قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السوريّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، سورية، ص23.

[8] حمد، مرجع سابق، ص 17.

بل ضمان عدم تعارضها، مع الانتماء الى الجماعة السوريّة. وسوف نناقش هذا الطرح لاحقا لنجد أن تحقيق الأمر بنيويا في غاية الصعوبة.

كما أن البحثين إذ يحصران الهُويّة بالعلاقة السياسية فقط بعيدا عن العلاقة الجغرافية بالمكان (الأرض) وعن العلاقة الاجتماعية بالمجتمع أو بالإنسان الآخر، يجعلان من التعاريف المطروحة مجتزئة، حيث سنجد أن العلاقة الجغرافية بالأرض السورية عانت من اضطرابات شديدة خلال الاحتلال الفرنسي، حتى تم إنجازها، مثلما عانت العلاقة الاجتماعية بين المكونات أو العناصر الاجتماعية للتلاعب من قبل الاحتلال الفرنسي لخلق الصراع فيما بينها. لكن المسألة لن تنتهي بانتهاء الاحتلال الفرنسي، لأن مرتبطة بنمط الإنتاج الكولونيالي كما سنرى.

6.2 تأثير الهُويّات ما فوق، وما دون وطنيّة على الهُويّة الوطنيّة السوريّة

يرى الدكتور حسام عبد الرحمن أن "الهُويّات المتعددة داخل الدولة والهُويّات العابرة للحدود الوطنيّة تنافس هُويّة الدولة"[9] فعلى سبيل المثال قامت العروبة بدور إيجابي "في تحقيق التماسك والاستقرار في سورية ولكنها أعاقت تطور هُويّة وطنيّة سوريّة مستقلة"[10] لأنها أقصت المكون غير العربي (الكرد والتركمان، وغيرهم) داخل سورية.

وهذا ما تؤكد عليه الدكتورة إنصاف حمد حيث "تشير الدراسات إلى أن الدولة الحديثة، في المنطقة العربية بوجه عام ومنها سورية، لم تنجح في تحييد الولاءات ما دون الوطنيّة أو ما فوقها لصالح الهُويّة الوطنيّة"[11] وتقصد الباحثة بما فوقها العروبة والإسلام وما دونها هي الولاءات القَبَليّة والإثنيّة العرقيّة والطائفيّة. ونحن إذ نوافق على ما قدمته كلا من الدراستين، إلّا أننا نرى أن من واجبنا في الواقع تفسير إعاقة الهُويّات ما فوق، وما دون وطنيّة، تكوين الهُويّة الوطنيّة السوريّة.

6.3 الحل المقترح

للوصول إلى الهُويّة الوطنيّة السوريّة تقترح دراسة عبد الرحمن اشتراك جميع التكاوين الاجتماعية في عملية "تعريف وطنها النهائي، بدلالة حدوده الدوليّة، بدون أن يكون

[9] عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 679.
[10] عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 675.
[11] حمد، مرجع سابق، ص9.

التعريف استبعاديا، لأي من الحساسيّات الإثنيّة، والدينيّة، وضرورة ذوبان جميع التكاوين، في بوتقة واحدة تتمايز بهُويّة وطنيّة"[12] وهذا ما تؤكد عليه دراسة حمد عندما فرقت بين الهُويّة الواحدة والهُويّة الموحّدة حيث تقوم الثانية على التطابق، وتنتهي إلى إقصاء المختلفين، لذلك رأت الدراسة تكوين الهُويّة بالمعنى الأول التي تقبل الاختلاف ولا تقصي المختلفين، فالهُويّة الوطنيّة "تتسم بالتسامح تجاه التنوع الثقافي والنقد والاختلاف"[13] من جهتي أرى أن هذا الحل المقترح من كِلا الدراستين بجمع القبائل والعشائر والطوائف والإثنيات العرقيّة وكلّ المكونات الأخرى للمجتمع السوري، إلى جانب بعضها بعضا للاشتراك في بناء هُويّة وطنيّة مشتركة، وضمان عدم استبعاد إحداها، لا يعطي حلا ناجحا، بل أنه يكرّس الوضع الحالي، لأنّه يحافظ على تلك الجماعات وعلى هُويّاتها الثقافيّة، على حالها، فالمسألة في أساسها من وجهة نظري تكمن في علاقات الإنتاج الاجتماعية، التي تدمج هذه المكونات في جماعة سوريّة، يكون لها هُويّة وطنيّة، كما سيتضح بالتفصيل بعد قليل.

كما يضيف عبد الرحمن شرطا لبناء الهُويّة الوطنيّة السوريّة "بعيدا عن الأوهام التاريخية هُويّة [أن] تمثل الجميع وتجمعهم ولا تفرقهم"[14] ويتفق في هذا مع بحث حمد عندما يقول إن: "التعريف هو للسوريين الآن وهنا، إنه للجماعة السورّية الفعلّية، "المتخّيلة في آن، وهو يتوسل لذلك الجغرافية السياسية لا التاريخ"[15] لأن الجغرافيا توحّد والتاريخ يفرّق، وهنا نتساءل هل من الممكن فعلا استبعاد التاريخ من تعريف الهُويّة؟ أن الذاكرة ركن أساس في تحديد الهُويّة ولا يمكن استبعاد التاريخ من الهُويّة.[16]

وفي دراسة الدكتور علي وطفة المنشورة عام 2002 بعنوان **إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة،** في مجلة المستقبل العربي. التي نتفق معها بأن "الولاء للقبيلة والعشيرة والطائفة في ظل المجتمع المدني يشكل حالة سافرة من التعصب

[12] عبد الرحمن، مرجع سابق ص 677
[13] حمد، مرجع سابق، ص 18.
[14] عبد الرحمن، مرجع سابق، ص677.
[15] حمد، مرجع سابق، ص 24.
[16] انظر ميكشيللي، (1993) الهُويّة. ترجمة: علي وطفة. ط: 1، دار الوسيم. ص 20 -18.

الخالص الذي يفقد مبررات وجوده التاريخي"[17] إلا أننا لا نستطيع أيضا أن نقبل الحل الذي قدمه ف "الناس في المجتمعات الديمقراطية يتجاوزون حدود انتماءاتهم وعشائرهم إلى بناء مجتمع الدولة الذي ينتمون إليه ويرفعون له مشاعر الولاء"[18] أما مبرر الرفض للحلّ يعود جزئيا إلى أنّ الديمقراطيّة تحتاج بدورها إلى شرط تاريخي مناسب.

7 منهج البحث وحدوده

7.1 منهج البحث

درست في البحث ظاهرة الهُويّة الوطنيّة من خلال أربعة محاور، المحور الأول: هو المحور الزمني التاريخي حيث حاولنا أن نتلمس الظاهرة في تطورها عبر الزمن، والمحور الثان: هو محور الجماعة التي تعبر عن ذاتها بسمات وخصائص واضحة تميزها عن غيرها، من الجماعات الأخرى القريبة والبعيدة عنها، والمحور الثالث: كان محور المساحة الجغرافية التي تسيطر عليها هذه الجماعة بالهُويّة المعبرة عنها، فهل كانت تمتد على المستوى الوطني، أم على ما يعلو المستوى الوطني، أو على ما يتدانى عن المستوى الوطني، أما المحور الرابع: فكان محور التقسيم الطبقي للجماعة أو للمجتمع السوري، وقد تفاعلت هذه المحاور وتداخلت لتكوّن موضوع بحثنا.

وقد استعان البحث بالمنهج الماركسي (المادي الجدلي التاريخي)، حيث أننا قاربنا المسألة في صيرورة تطورها، عبر المراحل انطلاقا من مرحلة التنظيمات العثمانية إلى مرحلة المملكة السورية العربية ثم مرحلة الاحتلال الفرنسي ثم مرحلة الاستقلال، محاولين استقراء العناصر الاجتماعية الفاعلة لمجتمع الجزيرة السوريّة، في مواقعها الطبقيّة، بعلاقاتها الاجتماعيّة الاقتصاديّة السياسيّة الثقافيّة.

[17] وطفة، علي اسعد. (2002) إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة. مجلة المستقبل العربي. (282): ص 102.
[18] وطفة، مرجع سابق، ص104.

7.2 حدود البحث المكانية والزمانية:

يتحدث الجغرافيون والمؤرخون عن أقليم الجزيرة المتكون بين نهري دجلة والفرات[19] على أن الجزيرة السورية هي القسم الأوسط من إقليم الجزيرة الفراتية التاريخي كما تحدث عنها المؤرخون، غير أنها لم تتحدد بشكل نهائي دفعة واحدة، لا سياسيا ولا اجتماعيا، بل خضعت "للتفاوض والابتزاز بين دول الانتداب فرنسا وبريطانيا ودولة تركية الحالية وريثة الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، من خلال اتفاقيات ومعاهدات أهمها معاهدة لوزان 1923 التي أنهت الدولة العثمانية قانونيا، ولم ينته تحديد حدود الجزيرة السورية إلا من خلال ترسيم الحدود السورية – العراقية، والحدود السورية – التركية بين عامي 1929 و1933"[20] تبلغ مساحة الجزيرة السورية 76010 كم مربع أي ما يشكل 41 بالمئة من مساحة الجمهورية العربية السورية.

8 المناقشة والتحليل

8.1 الهُويّة الوطنيّة باعتبارها هُويّة ثقافيّة

تُعَد الهُويّة علاقة التماثل والتشابه بين أفراد، بالنسبة لعلاقة أو لمجموعة من العلاقات البيولوجية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافيّة أو الدينية أو المكانية الجغرافية، كما يمكن أن يكون التماثل بين الأفراد أنفسهم بوجود فاصل زماني (بين الماضي والحاضر) فيقال عندها إنّهم يمتلكون هُويّة.

كما تُعَد القبيلة جماعة إنسانيّة تقوم العلاقة بين أفرادها على رابطة القرابة الدمويّة، بحيث يمكن النظر إليها على أنّها أسرة كبيرة، وهي بذلك من زمرة العلاقات الموروثة، فهؤلاء الأفراد متماثلين في علاقة النسب أو القرابة الدموية، وعلى هذا نستطيع أن نتحدث عن هوية ما، بين أفراد القبيلة الواحدة، وتظهر هذه الهُويّة من خلال مجموعة من المفاهيم الأخلاقيّة والعادات والتقاليد الخاصّة، التي يمكن اعتبارها ثقافة فرعيّة.

كذلك نجد أنّ الطائفة جماعة إنسانيّة، تقوم الهُويّة بين أفرادها على أساس التماثل والتشابه في تأويل مختلف جزئيا أو كليّا لنص مقدس، عن بقية الأجزاء الأخرى المكونة

[19] انظر باروت، محمد جمال. (2013). التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية. ط: 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ص24.

[20] باروت، مرجع سابق، ص 43.

للنسيج العام، فهي جزء من كل، بحيث يمكن اعتبارها أيضا ثقافة فرعيّة، وهي أيضا من زمرة العلاقات الموروثة.

وننطلق في بحثنا من تحديد الثقافة على أنها "كيفية تصنيف للتمايز نحن / هم قائمة على الاختلاف الثقافي"[21] فالهُويّة الاجتماعيّة دمج وإقصاء في آن معا: إنها تحدّد الجماعة (الأشخاص المتماثلين في سمة ما) وتميّزها عن الجماعات الأخرى (الأشخاص المختلفين عن الأشخاص السابقين، في السمة ذاتها). إذ أنّ لكلّ جماعة هُويّة تتناسب مع تعريفها الاجتماعي، هذا التعريف يجعلنا قادرين على تحديد موقعها الاجتماعي ضمن الكلّ الاجتماعي. غير أنه ولئن كان لمفهومي ثقافة وهُويّة ثقافيّة وإلى حد كبير مصير مترابط فإنه لا يمكن المطابقة بينهما بلا قيد ولا شرط[22] بمعنى أنه إذا كان لكل جماعة ثقافة، فليس لكلّ جماعة هُويّة ثقافيّة، إذن متى نقول عن جماعة أنها ذات هُويّة ثقافيّة؟ عندما تحقق الشروط الواجبة لتعريفها كجماعات إثنية ترتبط جميعها بالثقافة المشتركة لأفراد الجماعة، "الشرط الأول، أن ينظر الآخرون إلى هذه الجماعة على أنها متميّزة بعناصر عدة، ومنها الثقافة. الشرط الثاني، أن ينظر أفراد الجماعة إلى أنفسهم على أنهم يتميزون بهذه العناصر. الشرط الثالث، أن تشكل الثقافة المشتركة محورا تتمركز حوله نشاطات أفراد الجماعة وفعالياتهم"[23] بعبارة أوضح أن يكون لديهم أولا وعي بالاختلاف الثقافي، وثانيا أن يؤكد الآخرون لهم هذا الاختلاف الثقافي، وثالثا إرادة استثمار ذلك الاختلاف في فعالياتهم جميعها. حيث يمكن أن يكون لدينا اختلافات ثقافية، لكننا لا نعيها، عندئذ لا تكون لدينا هُويّة ثقافيّة.

وما قلناه عن هوية القبيلة والطائفة نستطيع أن نسحبه على هوية الحزب السياسي والنقابة والجمعية وكلّ منظمات المجتمع المدني، التي نجد أنّ الهُويّة فيها تقوم على علاقة التماثل والتشابه بين أفرادها من حيث جملة الأفكار السياسيّة أو المصالح العماليّة الطبقيّة، أو غيرها من العلاقات، التي ظهرت من خلال أفكار العروبة والاشتراكية

[21] كوش، د. (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة: منير السعيداني. ط: 1، المنظمة العربية للترجمة. ص149.

[22] كوش، مرجع سابق، ص148

[23] الفتلاوي، علي عبد الكاظم كامل. (2012). مقاربة الهُويّة الوطنيّة سوسيولوجيا. مجلة المنتدى الجامعي، (4): ص 144. نقلا عن حيدر، 1996، ص29.

العلمانيّة والإسلاميّة. فالارتباط بين الهُويّة الثقافيّة والوضع الطبقي أمر تؤكده دراسة استقصائية عن علاقة شعور الطلاب الموارنة بالانتماء القومي والانتماء الطبقي. إذ أن "الطلاب الموارنة من أصول طبقية فقيرة أو دون المتوسطة أكثر إحساسا بهُويتهم العربيّة من الطلاب الموارنة من أصول برجوازية متوسطة وعليا"[24] بمعنى أن الطبقة يمكن أيضا أن تكون جماعة تمتلك هُويّة ثقافيّة.

8.2 الجماعات / الهُويّات السوريّة في مرحلة الاحتلال العثماني

فإذا نظرنا إلى الهُويّات الثقافيّة وعلاقات التفاعل فيما بينها، في المرحلة العثمانيّة، نجد حالات شديدة من التداخل حيث نجد "ما يمكن تسميته العرب – الأكراد مثل الملليين وعشائر الجوالة الطائيّة والمحلميين وأطراف شهر، والتركمان – الأكراد مثل عشيرة بينار علي والأرمن–العرب (كان قسم كبير من أرمن ماردين كاثوليك لكنهم لا يتكلمون إلا اللغة العربيّة) والأرمن–الأكراد (كان هناك عدد كبير من الأرمن في بعض البلدات والقرى ولا سيما في بلدة ميافارقين التاريخيّة لا يتكلمون إلا اللغة الكردية) والسريان – العرب –الأكراد مثل أهل الكولية والقصوارنة الذين التجأ قسم منهم الى سورية بعد المذابح التركية في سنوات الحرب العالميّة الأولى ثم إلى الجزيرة السوريّة في أواخر العشرينات والنصف الأول من الثلاثينات فكانوا سريانا (معظمهم سريان أرثوذكس وقلة سريان كاثوليك) وعربا تمثل العربية اللغة لغتهم الأم وأكرادا من الناحية الأنثروبولوجية حيث تتشابه عاداتهم مع الأكراد في كل شيء اللباس والفنون والأعراس والطبخ. وهناك الأشوريون– الأكراد – الأرمن الذين كانت لغتهم السورث نفسها مزيجا من اللغات السريانية –الكردية –الأرمنية بل كانت هناك وحدة في الخصائص الإثنوغرافية بين الأشوريين والأكراد بحيث يصعب الفصل بينهم وفق هذه الخصائص"[25] هذا التداخل والتمازج كان موجود أيام الإمبراطورية العثمانية، التي ساد فيها نمط الإنتاج الإقطاعي،

[24] بركات، حليم. (1998). المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي. ط: 6، مركز دراسات الوحدة العربية. ص123.
[25] باروت، مرجع سابق، ص241-239.

وحتى في النمط الرأسمالي في أوربا، نجد التمازج بين الأعراق واللغات والطوائف، والجميع يخضع للقانون، ويقيم علاقة جيدة مع الدولة الوطنيّة الأوربية، فالفوارق الثقافيّة ليست فوارق سياسية، والدولة لا تمارس سياسة طائفيّة، بينما الدولة الوطنيّة السورية بحكم كونها في نمط الإنتاج الكولونيالي مجبرة على ممارسة سياستان طائفيّة وقومية، علما أن هاتين السياستين وجهان لعملة واحدة، في هذا الشرط.

هذا التداخل بين ثقافات هذه الجماعات المختلفة عرقيّا ولغويّا ودينيّا وطائفيّا نتج في تقديرنا عن تساويهم في الإقصاء السياسي، وهو نمط من الهُويّة السلبيّة، فجميعهم متماثلين في كونهم مبعدين عن الدولة العثمانية، الأمر الذي مهّد لتداخلهم فيما بينهم، فالشأن السياسي كان يقوم على التصنيف القائم على العامل الديني، فالجماعة المسلمة كانت هي الممثلة في أجهزة الدولة السلطانية العثمانية، بمعنى أن التصنيف إلى جماعات ثقافيّة (على أساس العرق واللغة) في العصر الوسيط كان ضعيفا جدا، لذلك كانت الجماعات الطائفيّة المسلمة والجماعات المسيحية مُبعَدة من مراكز القرار السياسي الاجتماعي، أو يمكن القول أنّهم كانوا في حالة اغتراب سياسي، ونقصد بالاغتراب السياسي هنا، أن الدولة العثمانية لم تكن تمثّل أي من الأقليات الطائفيّة المسلمة أو المسيحية، أي كانت بعيدة أو مبعدة عن الدولة، من جهة ومن جهة أخرى كانت تتسلّط عليها وتتحكم بها.

لكن بعد التحرّر من الاحتلال العثماني، تغيرت معيار العلاقة مع الدولة وأجهزتها، وأصبح العمل السياسي يقوم على تصنيف جديد للجماعات الفاعلة والممثّلة في الدولة، بمعنى أن عملية التصنيف تغيرت لأغراض سياسية فتمّ إدخال عامل العروبة، لإدخال الجماعات العربية إلى المشهد السياسي، كما أُدخِل عامل العلمانيّة لإدخال الجماعات الطائفيّة المسلمة والمسيحية إلى المشهد السياسي أيضا.

8.3 الجماعات /الهُويّات السوريّة في مرحلة الاحتلال الفرنسيّ

8.3.1 الجماعة /الهُويّة الوطنيّة السوريّة

إذا عدنا الى البحث في التكامل الاجتماعي من زاوية الدولة الوطنيّة؛ في جذوره السياسية، سنجد أن معاهدة لوزان[26]، التي كرّست انحلال الدولة العثمانية قانونيّا، وأنشأت على أنقاضها الدول القوميّة المستقلة، أو الدول الخاضعة لفترة انتقاليّة، وفقا لنظام الانتداب، قد قررت "مصير سكان الأراضي المنفصلة عن السلطنة العثمانية عبر مبدأين أساسيّين هما: تكريس الحدود السياسيّة السياديّة أو الدولتيّة، ومبدأ الجنسيّة (الناسيوناليتيه) المرتبطة بـ (هُوّية) الدول الجديدة، التي أنشأتها المعاهدة، أو نتجت منها، أو رسمت حدودها باعتبارها بديلا من الجنسية العثمانية السابقة، وأُضيف إليها بند ثالث هو حقوق الأقليات"[27]

أما من حيث الحدود السياسية لسورية فقد تنازلت فرنسا لتركيا عن الكثير من المناطق والأقضية التي كانت تتبع لسورية وفقا لاتفاقية سيفر[28]، حيث "كانت معظم هذه المناطق وهي كيليكيا والجزيرة العليا (مرعش وأورفه وماردين وسعرت وكلس وعينتاب تعتبر بالنسبة إلى السوريين أراضي سوريّة تاريخيا ... وكانت ولاية حلب تمتد امتدادا كبيرا في

---

[26] اتفاق سلام تم توقيعه في مدينة لوزان السويسرية في الرابع والعشرين من شهر يوليو عام 1923 بين الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا، من جانب؛ وحكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا، من جانب آخر. ونصت بنود المعاهدة على استقلال تركيا وتحديد حدودها، كما نصت كذلك على حماية الأقليات المسيحية اليونانية الأرثوذكسية في تركيا، وكذلك حماية الأقليات المسلمة في اليونان.

[27] باروت مرجع سابق ص 174-173.

[28] هي واحدة من سلسلة معاهدات وقعتها دول المركز بتاريخ 10أغسطس 1920 عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وقد كانت مصادقة الدولة العثمانية عليها هي المسمار الأخير في نعش تفككها وانهيارها بسبب خسارة قوى المركز في الحرب العالمية الأولى، وتضمنت تلك المعاهدة التخلي عن جميع الأراضي العثمانية التي يقطنها غير الناطقين باللغة التركية، إضافة إلى استيلاء الحلفاء على أراض تركية، فقُسِّمت بلدان الشرق الأوسط حيث أخضعت فلسطين للانتداب البريطاني ولبنان وسوريا للانتداب الفرنسي .وقد ألهبت شروط المعاهدة حالة من العداء والشعور القومي لدى الأتراك، فجرّد البرلمان الذي يقوده مصطفى كمال أتاتورك موقّعي المعاهدة من جنسيتهم ثم بدأت حرب الاستقلال التركية التي أفرزت معاهدة لوزان حيث وافق عليها القوميون الأتراك بقيادة أتاتورك؛ ممّا ساعد في تشكيل الجمهورية التركية الحديثة.

ما يسمى الآن تركيا، حيث أن لواءين من الألوية الثلاثة، وأحد عشر قضاء من الأقضية ال21 التي تألفت منها الولاية ضمت بعد الاتفاقية الى تركيا."[29]

أما من حيث الهُوّية فقد "اعتمدت معاهدة لوزان في تقرير الجنسية نظام السكن، وليس الهُوّية الثقافيّة أو اللغويّة أو القوميّة، وبمقتضى المواد (30–36) سيصبح الرعايا الأتراك المقيمون في الأراضي، التي فصلت عن تركيا بموجب هذه المعاهدة حكما وقانونا رعايا الدولة، التي انتقلت إليها هذه الأراضي، لكنها فتحت باب الاختيار"[30] فمعيار السكن يصلح لعبور الفوارق، اللغوية والمذهبية والعرقية، وهو أحد الاحتمالات التي قامت سلطات الانتداب باختياره لإنشاء الهُوّية السوريّة، بما هي هُوّية وطنيّة، وهو المعيار الأنسب ربما، بمواجهة معايير العرق واللغة والطائفة التي لا تنسجم مع حالة سورية، لأنها تتكون من مكونات اجتماعية مختلفة من حيث اللغة والعرق والدين والطائفة.

لقد قامت معاهدة لوزان بتعيين حدود للدول المكونة حديثا وبهذا منحت "شعوب هذه الدول جنسية وطنيّة خاصة تمثل الرابط بين الدولة والأرض والشعب (الأمة)، في كيان سيادي واحد موحد، على غرار تنميط نموذج الدولة – الأمة الأوربي، لمفهوم الجنسية بوصفه مأسسة للهُوّية والمواطنة"[31] لتحل مكان الجنسية العثمانية، التي وضعها العثمانيون في مرحلة التنظيمات الثانية (1858–1909) والتي كانت تسعى إلى تحويل دولة إمبراطورية، ذات عصبية عامة عثمانية، إلى دولة – أمة عثمانية متعددة القوميات.

قام الفرنسيون باعتماد نظام السكن لتكوين الهُوّية الوطنيّة، بشكل رسمي، لكنهم بشكل فعلي اعتمدوا على معايير اللغة والطائفة والإثنية العرقية لتكوين الهُوّية الثقافيّة ما دون وطنيّة، ومن ثم حوّلوها لهويّة سياسيّة، وبهذا كان عند الفرنسيين سياستان متناقضتان فيما يتعلق بالهُوّية، تقوم الثانية منهما بتقويض الأولى.

[29] باروت مرجع سابق ص177-176.
[30] باروت مرجع سابق ص180.
[31] باروت مرجع سابق ص179.

8.3.2 الجماعات /الهُويّات السوريّة ما دون وطنيّة

8.3.2.1 الجماعات السوريّة

في ظاهر الأمر، ارتبط استقبال السلطات العسكرية الفرنسيّة في الجزيرة للهجرات الكردية والكلدانية والآشورية والسريانية وغيرها من الجماعات /القبائل، بعوامل إنسانيّة، بينما كان باطنها مرتبطا، بالسياسات الإثنية الفرنسية، المعدة مسبقا لإعمار الجزيرة، والتي صيغت بين عامي 1920– 1923 بهدف "تشكيل كيان استيطاني كردي– كلدو –آشوري متفرنس فيها، لمواجهة الحركة الوطنيّة المتركزة في المدن الداخلية السوريّة"[32] فقد كان الهمّ الأكبر للسلطات الفرنسيّة تحطيم الحكم العربي، ومن أجل ذلك سعت إلى تجزئة سورية إلى "دويلات وألوية مستقلة ذاتيا على أسس طائفيّة ومذهبيّة أو ذات نظام استقلالي خاص، هي حلب، ودمشق، ودول العلويين، والدروز، ولبنان الكبير، ولواء إسكندريون، مع مشروع لدولة كلدو–آشورية ولدولة بدوية عربية، ولاحتمال كيان كردي (ملّي) في الجزيرتين العليا والوسطى السوريّة"[33]

8.3.2.2 عملية التحضر

أهملت السلطات الفرنسية، تطوير البادية في الجزيرة، في حين صبت تركيزها على تطوير الزراعة، وبناء القرى والبلدات، وتعزيز الثروة الحيوانيّة، وهذا ما مثل حافزا كبيرا للتحضر، فقد "تحولت سلطة الانتداب مع إصدارها قانون الجزيرة العليا، في عام 1926 إلى لاعب قوي ونشط"[34] وقد تمكنت السلطات الفرنسية بهذا من ضبط الصراعات العشائرية، والسيطرة عليها بل والتلاعب بها، من خلال استخدام كل عشيرة ضد الأخرى، حين الضرورة، وعزل رؤساء العشائر الرافضين للسياسات الفرنسية، أو الموالين للأتراك، أو للبريطانيين. كما قام الفرنسيون بدمج "العشائر في الحياة السياسيّة وتمثيلها في مجلس النواب وربط السياسة الضريبية بمستوى أوضاعها وضبط أسلحتها وتنقلها"[35]

وأدى عمل سلطات الانتداب الفرنسي إلى تطوير نمط الإنتاج، وإلى تكوين تقسيم طبقي، من درجة ما، في الجزيرة، إذ بدأ التنافس على ملكية الأرض، ما بين شيوخ العشائر، ولا

[32] باروت مرجع سابق ص243.
[33] باروت مرجع سابق ص243.
[34] باروت مرجع سابق ص343.
[35] باروت مرجع سابق ص343.

سيما الرعوية– الزراعية منها، وبهذا "تحول رؤساء العشائر رسميا إلى ملاك عقاريين ... وهذا هو أصل نشوء الملكية الكبيرة في الجزيرة حيث كان رئيس العشيرة هو الملاك الفعلي لأراضيها."[36]

وأدى استخدام الأرض باعتبارها أداة سياسية بيد السلطات الفرنسية، من أجل تطويع العشائر وإخضاعها، إلى تخلّي سلطات الانتداب الفرنسي في الجزيرة، بل وفي سورية كلها عن مبدأ تشجيع الملكية الصغيرة، لمصلحة الملكيات الكبيرة والمتوسطة، التي استأثر بها الأعيان، وفق قربهم أو بعدهم من السلطة، وفي مجال عامي 1939 ,1938 بيّن تقرير صادر عن السلطات الفرنسية، عن أن "الملكية الصغيرة (10 هكتارات) لا تشكل أكثر من 5 في المئة من مساحة الأراضي المستثمرة في الجزيرة مقابل 52 في المئة للملكيات المتوسطة (10 – 100 هكتار) و34 في المئة للملكيات الكبيرة (أكثر من 100 هكتار)"[37]

والآن، إذا أردنا أن نعرض صورة تمثل المجتمع الجزراوي، أبان الاحتلال الفرنسي، لوجدنا الصورة التالية "المدن – البلدات التي نمت في عملية الهجرة من شمال خط سكة الحديد في تركيا إلى جنوبها في سورية مسيحية وأرمنية ويهودية بدرجة أساسية، وكان العرب المسلمون فيها ممن يتحدرون من المدن السوريّة الأخرى، لا من الأصول البدوية المحلية أو من أعيان العشائر المحلية ورؤسائها، بينما كان الريف المستقر كرديا بصورة أساسية في حين كانت السهوب عربية مؤلفة من بدو وأنصاف حضر"[38]

8.3.2.3قومنة السلطات الفرنسية للهُوّيات ما دون وطنيّة

قامت فرنسا بقومنة الهويات الثقافيّة الموجودة في سورية عموما، وفي الجزيرة السوريّة خصوصا، فما قومنة الهُويّة؟ إنها تحويل الهُوّية الثقافيّة إلى هُوّية سياسية، أو بعبارة أخرى جعلت من العلاقة الثقافيّة علاقة سياسيّة. بحيث أن بوابة التمثيل السياسي في أجهزة الدولة كان الهوية الثقافيّة، وهو ما يمكن تسميته أيضا بالسياسة الطائفيّة، كما سيبدو بعد قليل.

[36] باروت، مرجع سابق، ص325
[37] باروت، مرجع سابق، ص331
[38] باروت، مرجع سابق، ص367

8.3.2.3.1 إحياء الهويّة الكرديّة وقومنتها

فمن حيث العلاقة مع الهُوّية الكرديّة قامت السلطات الفرنسيّة بتشجيع التطور القومي للأكراد، وبرزت آثار هذه السياسة مباشرة في ثلاث "تطورات: هي إصدار مجلة هاوار، وإنشاء الجمعية الخيرية الكردية الكبرى في الجزيرة، واعتماد الأبجدية اللاتينية للغة الكردية (الكرمانجانية)"[39] وقد قام الفرنسيون بذلك بسبب مقاومة تطلعات الوطنييّن السورييّن، لإنهاء الاستعمار الفرنسي.

8.3.2.3.2 تصنيع الهوية الكلدو–آشورية وقومنتها

أما ما يخص التعامل مع الآشوريين والكلدانيين فقد صنع المستشرقون الفرنسيون "عام 1919 اسم الكلدو–أشوريين (للتوحيد بين الآشوريين النساطرة والكلدان الكاثوليك والسريان الأرثوذكس والكاثوليك)"[40] واستخدموهم في إطار سياستهم الإثنية المتعددة التي تقوم على ضرب هذه الهويات بعضها ببعض في فرقهم العسكرية لقمع الفئات الأخرى من السورييّن.

8.3.2.3.3 تغيير الهُويّة الأرثوذكسيّة إلى كاثوليكيّة

كذلك قام الفرنسيون بتغيير الهُوّية الدينيّة للسريان، فقامت بعملية كثلكة للسريان المتنقلين من تركيا الى سورية، في أواخر العشرينات من خلال استغلال فقرهم وضعفهم، وهذا ما يمثل نوعا من سياسة فرنسية بـ "استغلال الانقسامات التقليدية المندلعة، في الثلاثينيات في الكنيسة الأرثوذكسية السوريّة، أحد منافذ تدخل السلطات الفرنسيّة، وتلاعبها بها في الفضاء الأرثوذكسي"[41]

8.3.2.3.4 قومنة الهُويّة الأرمنيّة

كما شكّل الأرمن حزبين قومييّن هما الطاشناق والهنشاق، وقد تميز الأرمن الطاشناق بالتحالف مع سلطات الانتداب بمواجهة الحركة الوطنيّة، حيث قام الفرنسيون بـ "دعمهم بالمال، وتعيينهم في الشرطة والدرك والتحري ودوائر الأمن، ورعاية منشوراتهم ضد

[39] باروت مرجع سابق ص389
[40] باروت مرجع سابق ص200
[41] باروت مرجع سابق ص411

الوطنيين، وضد خصومهم من الأرمن، وهم حزب الهنشاق"[42] الذين وقفوا مع الوطنيّين السوريّين في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي.

8.3.3 الجماعة / الهُويّة ما فوق وطنيّة (القوميّة العربيّة)

وإذا ما كانت علاقة الفرنسيين بالقوميات الكرديّة والأرمنيّة علاقة دعم ومساندة، فإن علاقتها بالقوميّة العربيّة، كانت علاقة عداوة وصراع، من خلال الاعتقال للقوميين العرب، وإرهابهم وملاحقتهم، حيث قاوم الفرنسيون بقمع الثورة السورية الكبرى وملاحقة قائدها سلطان باشا الأطرش وإجباره على اللجوء إلى الأردن ثم إلى السعودية، ومن خلال تشجيع المشاريع الانفصالية في الجزيرة، فقد دعمت الاستخبارات الفرنسية الانفصاليين الكرد والكلدو –آشوريين في الجزيرة. ففي النتيجة "فإن الهجرتين الكردية والكلدو – أشورية من تلك الهجرات تمتعا بسبب التحريض الفرنسي بخصائص المشكلات القوميّة الانفصالية في الثلاثينيات في سورية"[43]

8.4 الجماعة /الهُويّة (ما فوق وطنيّة) في مرحلة الاستقلال

انتهى الفعل الإمبريالي المباشر وبدأ عصر التدخل الإمبريالي غير المباشر وورثت الدولة السوريّة هُويّات طائفيّة وإثنية وعرقيّة مقومنة، فكيف تعاملت الدولة الوطنيّة السوريّة معها؟ سيّما مع استمرار التدخل الإمبريالي من خلال الانقلابات العسكريّة أو ما يعرف بالاستبدال الطبقي. لقد ورثت الدولة الوطنيّة في سورية تلك الحالة التي تحدثنا عنها أعلاه. من الانقسامات والتشظي في الهُوّية العامة والتشدد في التمسك بالهُويّات ما قبل وطنيّة من جهة ومن جهة أخرى تبني أفكار وأيديولوجيات غربية، أي التكيّف مع الهُوّية الغربية الفرنسية الأوربية وتبني بعض أفكارها.

8.4.1 العروبة أو القوميّة العربيّة

العروبة أو الهُويّة العروبيّة أو القوميّة العربيّة تعني بناء على ما سبق الأشخاص المتماثلين في العروبة، وهذه ترجع بدورها إلى تماثلهم في استخدامهم للّغة العربيّة، وقد انتشرت الأيديولوجية القوميّة بداية في المركز العثماني؛ أي الآستانة من خلال جمعية

[42] باروت مرجع سابق ص 304
[43] باروت مرجع سابق ص245

الاتحاد والترقي، التي اعتمدت سياسة التتريك، وإبعاد الأعيان السوريين من مراكز الحكم العليا مما استفزهم، ودفعهم على قبول العروبة كأيديولوجية سياسية[44] وهذا ما حدث مع الكرد أيضا، لذلك تكونت القوميّة الكردية بموازاة القوميّة العربيّة.

قامت الأيديولوجية القوميّة العربيّة على أسس متنوعة منها اللغة والتاريخ المشترك أي أسس ثقافيّة. فـ "أس الأساس في تكوين الأمّة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ"[45] وقد فعل الكرد والآشوريين المثل. حيث "ارتبطت حركة تجديد اللغة وتجذيرها القومي باندلاع حركة القوميات في العالم العثماني، ووفق علاقة اللغة ببناء مفهوم الأمة، أتى مشروع آل بدرخان من الناحية الزمنية في المرتبة الثالثة داخل هذه الحركة العامّة، بعد الحركة التركية العثمانية للعثمانيين الجدد، وحركة الأحياء اللغوي والثقافي العربي"[46]

تنظر الفلسفة الماركسيّة إلى المسألة القومية بكونها وسيلة لتوحيد السوق الخاص بالطبقة البرجوازية واحتكاره لنفسها بمعنى أن "توحيد المناطق القومية (بعث اللغة، اليقظة القومية، الخ) وإنشاء الدولة القومية هما ضرورة اقتصادية"[47] إذن المسألة في العمق مسألة توحيد السوق الداخليّة، بينما على السطح توحيد المجتمع على أساس اللغة، أو إرادة العيش المشترك، الأمر الذي سيصب في مصلحة الطبقة البورجوازية بالنهاية.

لم تستطع الطبقة البرجوازية الكولونيالية السوريّة القيام بتوحيد السوق السوريّة تحت قيادتها، ولا تحقيق التماسك والتكامل بين مكونات هذه السوق، ولا احتكار هذه السوق لنفسها، والسبب هو تبعيتها العضويّة للبرجوازيّة الفرنسيّة. فبقيت الأيديولوجية القوميّة مسألة فكريّة نظريّة نشطة في المجال السياسي بعيدا عن المجال الاقتصادي، بعبارة أوضح حدث انفصال بين السياسي والاقتصادي، فتمكنت من مقاومة الاحتلال الفرنسي سياسيا، لكنها لم تستطع القطع معه اقتصاديا بشكل نهائي فبقيت مرتبطة به، وهذا ما شكّل حالة من الانسداد في الأفق، حيث تشظّت تلك الطبقة إلى الأجنحة المكوّنة لها، فعبر كل جناح عن نفسه بهُويّة ثقافيّة مختلفة، وتحول الصراع إلى صراع هُويّات ما

[44] خوري فيليب. (1993). أعيان المدن والقومية العربية. ترجمة: عفيف الرزاز. ط:1، مؤسسة الأبحاث العربية، ص 99-89.

[45] الحصري، ساطع. (1959). ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات. دار العلم للملايين، ص210.

[46] باروت، مرجع سابق، ص392.

[47] لينين، ف. (1972) نصوص حول المسالة القومية. ترجمة: جورج طرابيشي. ط: 1، دار الطليعة، ص114.

دون وطنيّة، لكن بلبوس ما فوق وطني، فرض نفسه على الهُويّات ما دون وطنيّة، حيث أن الصراع العلماني والإسلامي السياسي، كان يضمر الصراع العشائري والطائفي.

8.4.2 العلمانيّة والإسلام السياسي

انقسمت الجماعات الثقافيّة المكونة للنسيج الاجتماعي السوري بين طرفين: الأول الأقليّات العرقية والدينية، تبنت العلمانيّة، بدافع حفظ البقاء، لحفظ بقاءها أمام الأغلبيّة المغايرة بالدين أو بالطائفة، والتي كانت تهيمن على الدولة ومؤسساتها، فوجدت الأقليّات في هذه الأيديولوجيا الجديدة فرصة لتأكيد ذاتها، وحفظ وجودها، لكن العلمانيّة كانت في أوربة أيديولوجيا طبقيّة بامتياز، صنعتها الطبقة البورجوازية لمواجهة الطبقة الأرستقراطيّة الإقطاعيّة التي استخدمت نظريات سياسية دينية، استفادت منها الطبقة الأرستقراطيّة سياسيّا، في حين أننا نجد أن العلمانيّة أيديولوجيا تبنتها الأقليّات الدينيّة (الإسلاميّة والمسيحيّة) لتواجه الأغلبيّة المسلمة المهيمنة على الدولة، بعبارة أكثر وضوحا وجدت الطبقة العليا في هذه الأقليّات، في العلمانيّة فرصة للوصول إلى السلطة، فهي على الرغم من كونها من كبار الملاك العقاريين أو كبار التجار في المجتمع، إلا أنّها مستبعدة وتابعة لأعيان المدن المسلمين السنّة، المهيمنين تاريخيا على مؤسسات الدولة، إذ "لا يمكن اعتبار عائلات المسيحيين واليهود الأكثر نفوذا في دمشق جزءا من الزعامة السياسية الفعلية للمدينة، على الرغم من كونها زعيمة في طوائفها"[48]. في حين رد الجناح المتضرر من الأعيّان من تطبيق العلمانيّة، بأن فَعَّل الهُويّة الدينية الإسلامية، وبهذا تحولت الهُوّية الدينية إلى هُوّية سياسية، ويبدو عندها ظاهريا أن الأغلبيّة الاجتماعية أصبحت تمارس سياسة الأقلية الطائفيّة.[49] وهو في رأينا ليس حقيقة المسألة، فليس جميع الأفراد، الذين هم ثقافيّا (مسلمين سنّة) يتبنون هُويّة ثقافيّة دينيّة (إسلام سياسي).

العلمانيّة والإسلام السياسي، وكلتاهما أيديولوجيتان متناقضتان، تحققان مصالح اقتصاديّة سياسية ثقافيّة، إذ بدأت بعض الجماعات السوريّة باستخدام العلمانية أو الإسلام السياسي لتفسير العالم وكمنهج عمل يحدد لها سلوكها، فبدأ الصراع بين العلمانيين والإسلاميين

[48] خوري، مرجع سابق، ص80

[49] غليون، برهان. (2012) المسألة الطائفيّة ومشكلة الأقليّات. ط: 3. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 28-26.

السياسيين من حينها بوصفه صراع هُويّة، وما هو في الواقع إلا ظاهر المسألة، في حين أنّها في العمق انسداد الأفق للطبقة البرجوازية الكولونيالية السورية، كما سنرى.

8.5 الطبقة الرأسماليّة في الجزيرة السوريّة:

وفي أواخر مرحلة الانتداب، تكونت طبقة من كبار الملاكين في الجزيرة، ففي أوائل الأربعينيات "استفاد شيوخ العشائر أكبر استفادة من مرسومي المفوض السامي 132 لعام 1940 و141 لعام 1941 اللذين أتاحا لرؤساء العشائر نظاما خاصا، يمكنهم من زراعة أراضي الدولة العامة غير المسجلة ضمن أملاكها الخاصة، خارج المعمورة، وتملكها بعد سنتين من إحيائها، ما شكل الأساس الحقيقي لتكون طبقة كبار الملاك في الجزيرة السوريّة وباديتها"[50] وقد شاركت هذه الطبقة ممثلة برؤساء العشائر وشيوخها في الانتخابات البرلمانية وأصبحوا نوابا.

تتكون الطبقة البرجوازية السوريّة من جناحين الأول كبار ملاك الأراضي الزراعية الذين صنعتهم فرنسة من شيوخ العشائر العربية والكردية الذين سكنوا في الريف في الجزيرة السوريّة والثاني كبار التجار، الأرمن المسيحين واليهود الذين سكنوا في المدن الجزراوية، والمرتبطين بكبار تجار حلب المرتبطين بدورهم بالبنية الفرنسية، وكلا الجناحين يعد امتداد عضوي للأرستقراطية الإقطاعيّة السوريّة. فالتبعية الكولونيالية تعني أن البنية الاستعمارية تقوم بتفكيك البنية الأرستقراطية و"تحافظ على عناصر بنيوية كثيرة فيها، وتوحد بينها في إطار بنيوي جديد هو إطار التبعية الكولونيالية"[51] حيث أن تحطيم علاقات الإنتاج السابقة بشكل ثوري عملية لم تقم بها البورجوازية عندنا، قبل أن يبدأ التغلغل الاستعماري، والأكثر أهمية هنا أن الاستعمار نفسه لم يقم بها على الرغم مما قام به من تفكيك لعلاقات الإنتاج السابقة، بل "كان بالعكس عائقاً في وجه ذلك، لأنه كان في الحقيقة يرسخ وجود هذه العلاقات في شكل تفكيكه وتحويله لها"[52]

---

[50] باروت مرجع سابق، ص541

[51] عامل مهدي. (1980) مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. ط:3، دار الفارابي. ص266

[52] عامل مهدي. (1980) مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. ط:3، دار الفارابي. ص 266.

حيث جرت عملية التكّون الطبقي بالشكل الذي حدده الاستعمار الفرنسي بفعل مباشر منه، "سواء في ربطه الإنتاج الزراعي المحليّ بالسوق الأوروبية، وما كان لهذا الربط من أثر فعال في تكون الملكية الخاصة الفردية للأرض وتطورها، أم في إنشائه بنوك الرهونات والتسليات وغيرها"[53] وفي المحصلة تكونت الطبقة البرجوازية الكولونيالية من جناحين "طبقة من الملاكين الزراعيين الكبار، هي طبقة البورجوازية الكولونيالية، أو الجناح الرئيسي من هذه الطبقة التي يكّون كبار تجار التصدير والاستيراد جناحها الآخر"[54]

من الطبيعي أن تفشل الطبقة البرجوازية الكولونيالية السوريّة في مشروعها النهضوي وأن يتحول إلى صراع هُويّات ثقافيّة بين العلمانيين والإسلاميين السياسيين، أو بين العروبة والكردية أو بين المسيحيين والمسلمين.

8.6 نمط الإنتاج الكولونيالي

يتحدد تاريخ سورية الحديث، أنه ذو نمط إنتاج كولونيالي، وهو يعني نمط إنتاج رأسمالي في حالة التبعية للمركز الإمبريالي، ويتميز هذا النمط بأمر أساس وهو تعايش أنماط الإنتاج السابقة معه.

لقد تدخل الاستعمار في تكوين الطبقة البرجوازية الكولونيالية، بحيث يمكن القول إن تاريخ تكوين هذه الطبقة هو تاريخ التبعية البنيويّة بين بنيتين اجتماعيتين مختلفتين، الأولى بنية اجتماعيّة رأسماليّة إمبرياليّة من جهة، ومن جهة أخرى بنية اجتماعيّة ناشئة، أي في مرحلة انتقال من نمط إنتاج سابق للرأسماليّة إلى نظام إنتاج آخر هو في الظاهر نظام الإنتاج الرأسمالي[55] ولا يوجد تكافؤ في هذه العلاقة بين الطرفين "لأنها علاقة بين بنية شديدة التماسك الداخلي، وأخرى هي في تفكك بنيوي، بسبب من وجودها بالذات في علاقة مع الأولى، أو قل في علاقة فرضتها الأولى بالعنف عليها"[56] فهي بعبارة أوضح

[53] عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. مرجع سابق ص267-266.
[54] عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. مرجع سابق، ص267.
[55] عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. مرجع سابق، ص265.
[56] عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. مرجع سابق، ص265

علاقة سيطرة بنيوية، علاقة تسيطر فيها الأولى (البورجوازيّة الفرنسيّة الإمبرياليّة)، بحكم منطق تطورها نفسه، على الثانية (البورجوازيّة السوريّة الكولونياليّة) وتحدد تطورها.

يظهر القانون العام لنمط الإنتاج الكولونيالي، نعني الرأسمالي التبعي، على نقيض القانون العام لنمط الإنتاج الرأسمالي الإمبريالي، الذي يسمح فيه، في "قانونه الميلي العام بتجدد تلك الأنماط السابقة، أي بإعادة إنتاج علاقات الإنتاج ما قبل الرأسماليّة بدلا من أن يميل نحو القضاء عليها بسبب تطوره في علاقة تبعية البنيويّة بالإمبرياليّة"[57] حيث يميل قانون نمط الإنتاج الإمبريالي إلى القضاء على علاقات الإنتاج ما قبل رأسماليّة بشكل تام. بـ "فعل آلية إعادة إنتاج رأس المال المتوسعة، التي تحدد تطوره بالضرورة كتطور إمبريالي"[58]

لكن ما الذي يعنيه تعايش أنماط الإنتاج السابقة مع نمط الإنتاج الكولونيالي؟ يعني أن نمط الكولونيالي يسمح للأنماط الأخرى أن توجد وان تنشط، لكن تحت سقف العلاقة مع المركز الإمبريالي؛ أي لا يسمح لها أن تتطور خارج التبعية مع المركز الإمبريالي، وهذا يعني تعايش العلاقات الإنتاجيّة الاجتماعية السابقة مع وتحت سيطرة علاقة الإنتاج الكولونياليّة، وتعايش قوى الإنتاج السابقة مع وتحت سيطرة قوى الإنتاج الكولونياليّة.

فقد امتلك ابن دير الزور عدّة عصبيّات، "هي العصبية العشائرية، التي انحدر منها الديريون والعصبية المحلية تجاه المحلات الأخرى والعصبية البلدية الديرية للمدينة ككل، حين يهدد البلدة خطر عام، وبذا تتحد جميع المحلات في سبيل الدفاع عن البلدة وتقف صفا واحدا تجاه العدو المشترك"[59] وهنا نجد أن هذه العصبيّة البلديّة هي نواة الهُوّية الوطنيّة، التي نشأت نتيجة التطور العمراني الحضري، وانتقال العشائر من الحالة الرعويّة إلى الحالة الزراعية أو الرعوية –الزراعية، والاستقرار في المدينة، غير أن هذا التطور يقف تماما، ولا يتقدم، والسبب هو تجديد الحياة، في العلاقات الاجتماعية الإنتاجية للأنماط السابقة، وعدم القضاء عليها من قبل النمط الكولونيالي، الذي يقوم

[57] عامل، مهدي. (1989) مدخل إلى نقد الفكر الطائفي. ط: 3، دار الفارابي. ص286

[58] عامل، مدخل إلى نقد الفكر الطائفي. مرجع سابق، ص11

[59] باروت، مرجع سابق، ص72.

على تجديدها، وبالتالي تجديد الروابط والانتماءات والأدوار الاجتماعيّة المتكونة بها، أي تبقى العصبيّة العشائريّة فاعلة وقويّة الى جانب العصبيّة البلديّة، إن لم تكن أقوى منها.

8.7 استبدال العلاقة الطائفيّة بالطبقيّة

بهذا نحن أمام علاقتين طائفيّة وطبقية، والعلاقة في عمقه بين العلاقتين، ليس علاقة تجاور ولا تواز، ولا يمكن أن نقول إن البنية الاجتماعية السوريّة تتسم بالازدواجيّة البنيويّة بين بنيتين واحدة طائفيّة؛ أي تتكون من طوائف، والأخرى طبقيّة؛ أي تتكون من طبقات، ومن ثم تأتي علاقة خارجية تربط بين البنيتين، فهذا غير صحيح أيضا، إنها "علاقة تداخل بين الاثنتين من نوع معين يتم فيه، بفعل آلية اللغة الأيديولوجية المسيطرة، استبدال الأولى (العلاقة الطبقية) بالثانية (العلاقة الطائفيّة)"[60] فالعلاقة الطبقية، وهي علاقة سياسية تتكون من طرفين متناقضين: مسيطر وتابع، الطرف المسيطر هو البورجوازية الكولونيالية، والطرف التابع هو الطبقة الكادحة، وما يجري الآن هو استبدال الطبقة الكادحة بالطوائف، أي استبدال الطرف النقيض للطرف المسيطر في العلاقة الطبقية بالطوائف، بحيث يظهر الصراع على أنه صراع طائفي، من خلال استخدام أيديولوجيا طائفيّة، بما هي قناع مزيف يخفي حقيقة الأمور، حيث تقول النخبة الحاكمة لعناصرها في الطبقات الأدنى، أنها تتعرض للتنافس والعداء من الأطراف الأخرى بسبب اختلافها الطائفي أو العشائري أو العرقي، أو العكس، أي تقول إن الهدوء والأمان الاجتماعيان بين طوائفنا أمر مهم لنمو أعمالنا وتطورنا، وفي الحالتين يُستحضر الفكر الطائفي ويغيب الفكر السياسي "فالتغييب السياسي هذا الذي تستحيل فيه الطبقات الكادحة طوائف، بالشكل الذي شرحناه آنفا، هو الذي يسمح إذن بإنجاح عملية استبدال

[60] عامل مهدي. (1989) مدخل إلى نقد الفكر الطائفي. ط: 3، دار الفارابي. ص170

العلاقة الأولى بالثانية، بحيث تتمكن البرجوازية من أن تخفي طابع سيطرتها الطبقية، في مظهر السيطرة الطائفيّة التي تبدو حينئذ كأنها سيطرة الطوائف جميعا"[61]

وفي المحصلة يعني هذا أن السياستين القومية والطائفيّة، وجهان لعملة واحدة، في النمط الكولونيالي؛ أي هويتان ثقافيتان واحدة كليّة والأخرى فرعيّة، يتم تحويلهما الى هُوّية سياسية، وبهذا تبدو المسألة نظرية وبسيطة، إذا نظرنا إليها بوصفها مسألة ثقافيّة فقط دون النظر إليها من خلال الروابط الاجتماعية وخاصة الروابط الاجتماعية الإنتاجية، أي "أن الفكر الطائفي والفكر القومي، هما وجهان لفكر طبقي واحد، هو الفكر البرجوازي الرجعي نفسه. فلا تناقض بين هذين الفكرين، إلّا في الظاهر، ما هذا الظاهر سوى الشكل الذي يختفي فيه ذلك الفكر الطبقي في مظهرين منه، يتجاهل كل منهما الآخر"[62]

8.8 التفسير الذاتي

فالطبقة المسيطرة في البنية السوريّة، بعد الاستقلال لا تستطيع إلا أن تمارس سياسة طائفيّة "لإبقاء هذه الولاءات أو إحيائها، في سعي لتوظيفها واستعمالها وعبر ممارسات تتصل بمحاصصة معلنة أو غير معلنة للوظائف والمناصب"[63] وقومية في وقت واحد. لأنها لا تستطيع التوحد مع المركز الإمبريالي بسبب تخلفها، ولا تستطيع أيضا القطع معه، لأن حاملها الطبقي هو الرابط الذي يربطها به ، بالتالي سيعني القطع معه تدمير حاملها الطبقي، وبالتالي زوالها هي كسلطة حاكمة، بالتالي ليست المسألة ذاتية إرادية (على الأقل ليس بالكامل)، وعلى هذا لا بد من استبدال البنية ببنية أخرى يكون الحامل الطبقي لها، هو طبقة عمالية مستقلة بنيويا وذات وعي بهويتها الثقافيّة. "فالوجود الموضوعي لهذه البنية، من حيث هي القاعدة المادية لوجود البورجوازية الصغيرة كطبقة مسيطرة، ولتجدد سيطرتها الطبقية، هو الذي يمنع إذن، هذه الطبقة من أن تقوم بقطع

[61] عامل مدخل إلى نقد الفكر الطائفي، مرجع سابق، ص171-170.
[62] عامل، مدخل إلى نقد الفكر الطائفي. مرجع سابق، ص127
[63] حمد، مرجع سابق، ص9.

العلاقة الكولونيالية، برغم وجودها في تناقض مع الإمبريالية، وهو الذي يعطي هذا التناقض طابعه المحدود؛ أي طابعا نسبيا معينا يمنعه من أن يقود إلى قطع هذه العلاقة. فعملية القطع هذه لا تخضع لمنطق تطور هذا التناقض، بل لمنطق آخر من التناقض، هو منطق الصراع الطبقي نفسه الذي يتولد داخل البنية الاجتماعية الكولونيالية على أساس علاقات الإنتاج المحددة فيها"[64] بعبارة أوضح، وجود التناقض الموضوعي بين الطبقة البورجوازية الصغيرة المسيطرة والإمبريالية، لا ينفي وجود العلاقة الكولونيالية، ولا يؤدي إلى قطعها أيضا، بسبب أن تحرك هذه الطبقة يقوم أساسا على أساس وجود هذه العلاقة من التبعية البنيوية؛ أي في إطار بنية علاقات الإنتاج الكولونيالية.

9 النتائج

أولا: لم توجد هُويّة وطنيّة سوريّة لعدة أسباب:

1- لم توجد جماعة أو حزب طالب بهوية وطنيّة سوريّة تتطابق مع حدود القطر العربي السوري الحاليّة.

2- أن الحدود السياسية الحالية نشأت على فترات زمنية ممتدة ولم تنشأ على أساس حدود اجتماعية، بما يتناسب مع النسيج الاجتماعي، بل تم بفعل مصالح وابتزازات بين الاحتلالين التركي والفرنسي.

3- الهُويّة الوطنيّة السوريّة بين عامي 1958-1920 كانت على صعيد الخطاب هوية ما فوق وطنيّة أي لم تكن مقتصرة على تلك الحدود السياسية، بل كانت أكبر بمعنى أنها تربط سورية بمحيطها العربي أو محيطها الإسلامي أو محيطها الاشتراكي العلماني، بينما على صعيد الممارسة الفعليّة كانت هُويّة طائفيّة أو قَبليّة

[64] عامل مهدي. (1980) مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. ط:3، دار الفارابي. ص269.

أو إثنيّة بمعنى أنها لم تكن يوما خاصّة بسورية فقط، بما هو القطر العربي السوري.

4- لم تنشأ أو تتكون الجماعة السوريّة بسبب العبث الفرنسي بمكونات النسيج الاجتماعي السوري، أولا: من خلال التوطين لدفعات كبيرة من الهجرات الخارجيّة الوافدة، وثانيا: من خلال تكوين طبقة من كبار الملاك العقاريين التابعة للبنية الفرنسية، ثالثا: من خلال قطع علاقة التكامل بين تلك الجماعات الفاعلة وجعلها علاقة صراع وتحارب، ورابعا: من خلال قومنة الهُويّات الثقافيّة وجعلها هُويّات سياسيّة. ولهذا لم تنشأ الذات السوريّة أو الجماعة السوريّة، بالتالي لا مجال للحديث عن هُويّة وطنيّة سوريّة إلا بمعنى الانتماء إلى كيان وهمي ما.

5- فشل مشاريع العروبة والاشتراكية العلمانيّة والإسلاميّة، إنما يعود لفشل الطبقة البرجوازية السوريّة، التي مثلت الحامل الطبقي لتلك المشاريع. فهذه الطبقة كانت في علاقة تبعيّة بنيويّة مع المركز الإمبريالي، عُرِفت بنمط الإنتاج الكولونيالي. فكان بنتيجة هذا الفشل أن انتكصت هذه الطبقة وتشظّت إلى الجماعات الأوليّة المكونة لها، لتبرز هُويّاتها الثقافيّة وتتحول المسألة إلى مسألة صراع هُويّات فيما بينها.

6- الأمر يفوق قدرة الدولة السوريّة على المعالجة، فالطائفيّة السياسيّة مرتبطة بنمط الإنتاج المفروض عليها، ولذلك كانت مضطرة على القيام بسياسات قومية وطائفيّة (إثنية وقبلية) فبقيت الهوية الوطنيّة تتوس بين طرفين هُويّة جزئيّة (قَبَليّة، طائفيّة، أقليّة عرقيّة) على صعيد الفعل وطرف كلي (عروبي إسلامي اشتراكي علماني) على صعيد الخطاب.

7- أن نمط الإنتاج الكولونيالي يجعل من الاغتراب السياسي أي اغتراب مؤسسات الدولة الوطنيّة السوريّة أمرا محتما؛ أي لن يجد الفاعلون الوطنيون تأكيدا لأنفسهم في تلك الدولة، بالمعنى الاجتماعي الطبقي. فاستمرت الهُويّات ما دون وطنيّة بشكل فاعل لأنّها تعبر "عن وضعيّة تاريخيّة مشروعة حيث تلبي هذه البنى وظائف اجتماعيّة وسياسيّة مهمّة تتمثل في تأمين الحماية والأمن والهُويّة لأفرادها في ظل مجتمعات لم تتبلور فيها البنى السياسيّة الاجتماعيّة المعاصرة على نحو متكامل ولا سيّما بنية الدولة العصريّة أو الأمّة"[65]

ثانيا: كيفية الوصول إلى تعريف الهُويّة الوطنيّة السوريّة:

8- الحل من وجهة نظري ليس بجمع المكونات الحاليّة للنسيج السوري والقيام بحوار على قاعدة المساواة، لأننا بذلك إنّما نحافظ على المجتمع السوري في مرحلة المجتمع الطبيعي /الأهلي؛ أي نحافظ بهذا على القبائل والعشائر والطوائف والأقليّات العرقيّة على حالها، ونعطي لكل منها نصيب من الكعكة الوطنيّة السوريّة، أن هذا الحل هو الطائفيّة السياسيّة بعينه.

9- الحل يكمن في إقامة حامل طبقي يقطع مع البنية الغربية ويحقق الاستقلال لبنية الإنتاج السوري، عندها تتكون جماعة سوريّة حقيقية بقيادة طبقة عليا تعي ذاتها جيدا، وعندها يكون بالإمكان تعريف الهُويّة الوطنيّة السوريّة. لذلك نرى أيّ تعريف لها قبل ذلك هو نوع من التوقع ليس إلّا.

[65] وطفة، مرجع سابق، ص104.

10- تعريف الهُويّة الوطنيّة السوريّة ليس أمرا نظريا، بل هو أمر اجتماعي اقتصادي سياسي ثقافي مشخص في وضعية تاريخية محددة، فما أن يتم تحقيق بنية مستقلة على أساس نمط إنتاج فاعل ومستقل، نحصل بذلك على الجماعة السوريّة المتفاعلة المتكاملة بقيادة طبقة تقدميّة، وحينها سنحصل على تعريف مشخص للهُويّة السوريّة بما هي مجموع العلاقات الاجتماعية الاقتصادية السياسية الثقافيّة، لتلك الجماعة في حينه.

10 الخاتمة

طالما أن الهوية الوطنية تتكون من ثلاث علاقات هي السياسية والاجتماعية والجغرافية، فان الهوية الوطنية السورية لم تنجز على صعيد العلاقتين الاجتماعية والجغرافية، ولعلنا نتناول العلاقة السياسية في بحث قادم .

11 مراجع البحث

1- الحصري، ساطع. (1959). ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات. دار العلم للملايين. 210.

2- الفتلاوي، علي عبد الكاظم كامل. (2012). مقاربة الهُويّة الوطنيّة سوسيولوجيا. مجلة المنتدى الجامعي، (4): 127- 162.

3- باروت، محمد جمال. (2013). التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية. ط: 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 1021.

4- بركات، حليم. (1998). المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي. ط: 6، مركز دراسات الوحدة العربية. 516.

5- خوري، فيليب. (1993). أعيان المدن والقومية العربية. ترجمة: عفيف الرزاز. ط:1، مؤسسة الأبحاث العربية. 167.

6- حمد، إنصاف. (2019). عن الهُويّة الوطنيّة السوريّة محاولة في التعريف وفض الغموض والالتباس. مؤتمر الهُويّة الوطنيّة قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السوريّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، سورية.

7- عامل، مهدي. (1980) مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. ط:3، دار الفارابي. 485.

8- عامل، مهدي. (2003) في الدولة الطائفيّة. ط:3 ، دار الفارابي. 357.

9- عامل، مهدي. (1989) مدخل إلى نقد الفكر الطائفي. ط: 3، دار الفارابي. 302.

10- عبد الرحمن، حسام. (2020). الهوية الوطنيّة السورية رهانات المعنى وجدليات منطق مصالح الدولة والأمة والعالم. مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية. 42 (1): 665 – 684.

11- غليون، برهان. (2012) المسألة الطائفيّة ومشكلة الأقليّات. ط: 3. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 176.

12- كوش، د. (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة: منير السعيداني. ط: 1، المنظمة العربية للترجمة. 236.

13- لينين، ف. (1972) نصوص حول المسالة القومية. ترجمة: جورج طرابيشي. ط: 1، دار الطليعة. 212.

14- ميكشيللي، ا. (1993) الهُويّة. ترجمة: علي وطفة. ط: 1، دار الوسيم. 190.

15- وطفة، علي اسعد. (2002) إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة. مجلة المستقبل العربي. (282): 96 –113.

السّرد القصصيّ في شعر الحرب في تغلب قبل الإسلام (دراسة تطبيقيّة)

أ. د عبد الكريم يعقوب*

الدكتورة: رباح علي**

جميل فايز إسكندر***

ملخّص

يسعى هذا البحث إلى دراسة السّرد القصصيّ في شعر الحرب في تغلب قبل الإسلام، والكشف عن ماهيّة هذه الأشعار في جانب من جوانبها الفنيّة المتمثّلة في السّرد والقصّة.

استُهِلَّ البحثُ بتعريف السّرد لغةً واصطلاحاً، ودرس بعد ذلك مدى استيعابه تجارب شعراء تغلب الحربيّة ومواقفهم، محاولاً تبيّن الخصائص والسمات الفنيّة في الخطاب السرديّ في قصيدة الحرب التغلبيّة أسلوباً، وبناءً، ودلالةً.

وخُتِمَ البحثُ بنتائج تُبرز تجلّيات السّرد القصصيّ وأهميته الفنيّة في بناء قصيدة الحرب التغلبيّة.

الكلمات المفتاحيّة: السّرد القصصيّ، الحرب، تغلب، بناء، الأهميّة الفنيّة.

* أستاذ الأدب القديم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

** مدرس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

*** طالب دراسات عليا (دكتوراة)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

Narration in war poetry in pre-Islamic Taghlib

(An Empirical Study)

summary

This research seeks to study narrative narration in pre-Islamic war poetry in Taghlib, and to reveal the nature of these poems in one of their artistic aspects represented in narration and story

The research began by defining narrative linguistically and terminologically, and then studied the extent to which it absorbed the experiences of the Taghlibi war poets and their positions, trying to identify the characteristics and artistic features of the narrative discourse in the Taghlibi war poem in terms of style, structure, and connotation

The research concluded with results that highlight the manifestations of narrative narration and its artistic importance in constructing the conquering war poem

Keywords: storytelling, war, defeat, construction, artistic importance

-المقدمة:

إنّ السّرد القصصيّ بناءٌ فنيٌّ أصيل في القصيدة القديمة قبل الإسلام، وجد طريقه عند الشعراء عصرئذٍ، بوصفه أسلوباً فنيّاً يتجلّى في معظم الأشكال الأدبيّة؛ فهو ظاهرةٌ فنيّةٌ اتّبعها الشعراء تعبيراً عن مواقفهم وتجاربهم، ونجد ملامح هذا الأسلوب الفنيّ يتجلّى في سرد حكائيّ لصورة من صور الحياة الواقعيّة، يسجّل الشاعر مشاهدها وأحداثها، ويلتقط تلك الوقائع ويسردها في قصّة يحكيها في قصيدته؛ فالسّرد القصصيّ بناءٌ فنيٌّ قادرٌ على استيعاب تفاصيل الحياة، ورصد أحداثها، لما يتمتّع به من قدرة على جذب الانتباه، وإثارة الاهتمام.

وتشكّل أحداث المعركة لوحات متكاملة متسلسلة؛ إذ تجسّد لوحاتها بناءً قصصيّاً حكائيّاً، يمتدّ على مساحة زمنيّة ومكانيّة واسعة، وهي لوحات يبنيها الشعراء عادةً من خلال قصّ أحداث المعركة وحكاية موقفها؛ إذ نلمس في شعر الحرب في تغلب قبل الإسلام صوراً تعتمد الحكاية، أو السّرد القصصيّ في وصف المعركة، ونجد الشاعر يأتي بحكاية أو قصّة ويضمّنها في شعره، ويهدف بذلك إلى دمج هذه الحكاية أو القصّة داخل عمله الفنيّ وتطويعها لتكون أكثر إيحاءً وتعبيراً، محاولاً دعم حكايته بأحداثٍ متتابعة، وهذا التتابع والتسلسل في أجزائها يكوّن القصّة التي أراد نقل الحدث من خلالها.

-مشكلة البحث وأهميته، والجديد فيه:

تأتي أهمية هذا البحث من معالجته تجلّيات السّرد القصصيّ في أشعار شعراء مغمورين في قبيلة تغلب؛ فقد برعوا في سرد أحداث المعارك، ووصف مشاهدها، كما تأتي أهميته في انطلاقته من النّصّ الشعريّ الذي لا ينفصل عن الموروث الثقافيّ، والتقاليد الشعريّة الجاهليّة.

-أهداف البحث وأسئلته:

يهدف البحثُ إلى الكشفِ عن ماهية هذه الأشعار في جانب من جوانبها الفنيّة المتمثلة في الحكاية والسّرد القصصيّ، وقدرة الشعراء على تطويع هذا الأسلوب القصصيّ لاستيعاب فورتهم الحماسية في أرض المعركة، ومحاولة الوقوف على ملامح السّرد القصصيّ في أشعار تغلب الحربيّة، وإبراز تناولهم له في أشعارهم وجمالياته، محاولين الإجابة عن الأسئلة الآتية:

إلى أيّ مدى أسهم السّرد القصصيّ عند الشعراء التغلبيين في استيعاب تجاربهم، وزخم حماستهم في أحداث المعركة، وإلى أيّ مدى أسهم دمج هذه الحكاية أو القصّة داخل أعمالهم الفنيّة وتطويعها في التعبير عن مواقفهم الحربيّة وصياغتها؟ ومدى ما ينتجه ذلك من إيحاءات نفسيّة ومعنويّة ودلاليّة داخل العمل الفنيّ؟ وما الخصائص والسمات في الخطاب السرديّ لقصيدة الحرب التغلبيّة، أسلوباً ودلالةً؟

-مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

تعريف السّرد لغةً: السّرد في اللّغة: هو تَقْدِمَةُ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ تأتي به متّسقاً بعضُهُ في إثر بعضٍ متتابعاً. سرد الحديث ونحوه يسرده سَرْداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السيّاق له. وفي صفة كلامه، □: لم يكن يسرد الحديث سرداً؛ أي يتابعه ويستعجل فيه. وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه. السّرد: المتتابع. وسرد فلان الصّوم إذا ولاه وتابعه، وفي الحديث أنّ رجلاً قال لرسول الله، □: إنّي أَسْرُدُ الصِّيام في السَّفر؛ فقال: إن شئت فَصُمْ، وإن شئت فَأَفْطِرْ[1].

[1]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر،د.ط، د.ت، مادة (سرد)، ص1987.

والسّرد "ضمُّك الشَّيء بعضه إلى بعض، نحو النّظم وما أشبهه. ومنه قولهم: سرد الدّرع، أي ضمّ حديد بعضها إلى بعض. والمسرّد: المنظّم من خَرزٍ أو غيره. وقيل لأعرابيٍّ: أتعرف الأشهرَ الحُرم؟ فقال: إنّي لأعرفُها: ثلاثةٌ سَرْدٌ، وواحدٌ فرد"[1]. ومن هذه التعاريف نستنتج أنّ السرد لا يخرج عن نطاق نسج الكلام، وحُسن السبك، وقدرة النظم في انسجام تام.

والسّرد اصطلاحاً: هو العمليّة التي يقوم بها السّارد أو الراوي، وينتج منها النّص القصصيّ المشتمل على اللفظ؛ أي الخطاب القصصيّ والحكاية، ولا يتوقف السّرد عند النصوص الأدبيّة؛ فالسّرد فعلٌ لا حدود له، ليشمل كل الخطابات سواء كانت أدبيّة أم غير أدبيّة[2]. بمعنى أنّ السّرد قديمٌ قِدَم الإنسان، لا حدود له، حاضر في الأسطورة، والخرافة، والمثل، والحكاية، والملحمة، وغيرها، ويوجد السّرد في كلّ الأزمنة، وفي كلّ المجتمعات.

والسّرود في العالم "لا تحصى، وهي توجد في عدد لا يمكن حصره من الأنواع المعبّر عنها، بوسائل مختلفة، شفاهيّة، كتابيّة، صور ثابتة أو متحركة، إيماءات، رسوم...إلخ، وإنّ السّرد لا يكترث بجودة الأدب أو رداءته، إنّ السّرد عالمي متعالٍ عن التاريخ، هو ببساطة موجود حيث توجد الحياة"[3]؛ وهي بهذا المعنى تفتح الباب أمام الدارسين للوقوف في زاوية نقديّة مختلفة في تعاملها مع النصّ الشعريّ القديم، وتسعى

[1]– الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (321هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، طبعة دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979م، ص461.

[2]–ينظر: الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربيّ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص19.

[3]-السرديّة العربيّة، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2000م، ص252.

لتحسّس مكامن البوح الإبداعيّ فيها من خلال حضور الأسلوب السّردي، والوقوف على تجلياته، وملامحه، وخصائصه.

والسّرد بوصفه علماً له أُسسه وقواعده، يُعني "باستنباط القواعد الداخليّة للأجناس الأدبيّة واستخراج النظم التي تحكمها، وتوجّه أبنيتها، وتحدّد خصائصها وسماتها، وهي المبحث النقديّ الذي يعنى بمظاهر الخطاب السرديّ أسلوباً وبناءً ودلالةً"[1].

وهكذا يتبين أنّ السّرد يهتمّ بالطريقة التي تسرد بها القصّة أيّاً كانت؛ لأنّ الفعل السّرديّ "يتّخذ مكاناً له ضمن الوضعيّة، سواء أكانت حقيقية أم خيالية "[2]؛ فالسرديّة وسيلةٌ يعتمد عليها الراوي لنقل الأحداث سواء كانت حقيقيّةً أم من وحي الخيال، معتمداً على اللغة التي تأتي في شكل عودة الماضي لاسترجاع أحداثٍ سابقةٍ، وهذه العودة تكون وفق إطار زمانيّ معيّن، وحيّزٍ ينجر عنه تناسق وترابط في العمل الأدبيّ، والمؤلّف أو الراوي يعمل على إيجاد التناسق بين كلّ التقنيات السرديّة.

ويحدّد جيرار جنيت السردَ بأنّه:" عرض لحدث أو لمتوالية من الأحداث حقيقية أو خياليّة، عرض بواسطة اللغة، وبصفة خاصّة عرض بواسطة لغة مكتوبة"[3]. وبهذا يتّضح حضور السرد في النصّ الشعريّ الذي يتضمّن عرضاً متوالياً لحدثٍ معيّن عبر اللغة.

ويعدّ مصطلح علم السّرد أو السّرديّة (Narratology) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقديّ تحت تأثير البنيويّة، وقد بدأ علم السّرد بالشكلانيين الروس.

---

[1]–موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص8.

[2]–تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السّرد–التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997م، ص41.

[3]-حدود السرد، جيرار جنيت، ترجمة بنعيسى بوحمالة، مجلة آفاق المغربية، العددان 8–9 لسنة 1988م، ص60.

ولا يخلو هذا المصطلح من التعريفات والمقترحات؛ فقد ترجمها بعضهم بعلم السرد، والسرديات، ونظرية القصّة[1]. وهكذا نجد أنّه مهما تعدّدت آراء النقّاد في تعريفهم للسّرد، إلّا أنّهم يلتقون عند محور أساسٍ، وهو التوافق بين المكوّن القصصيّ والمكوّن الحكائيّ وطريقة تصوير الأحداث.

وقد أشار النقاد العرب الأوائل إلى السمة الحكائيّة في الشعر العربي القديم، وتوافر العناصر القصصية فيه؛ فلم يغب ذلك عنهم وإن كان على شيءٍ من الإيجاز والتكثيف، كما نجد عند أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله: "قواعد الشعر أربع: أمرٌ، ونَهْيٌ، وخَبَرٌ، واسْتِخْبارٌ"[2]؛ فعدّ اقتصاص الأخبار من هذه القواعد، ويشير أيضاً ابن طباطبا إلى دور الحكايات في النصّ الشعريّ، وأنّ على الشاعر المجيد تضمين الحكايات في نصّه[3].

-الإطار النظريّ والدراسات السابقة:

-اعتمد البحثُ في مادّته الشعريّة على الديوان الذي جمعه الدكتور علي أبو زيد، وهو: شعراء تغلب في الجاهلية (أخبارهم وأشعارهم)، علي أبو زيد، السلسة التراثية (19)، الكويت، ط1، 2000م. وهو كتاب ضمّ مجموع ما وصل إلى اليوم من شعر تغلب. وجاء في جزأين، الأوّل: الدراسة، والثاني: الديوان، وضمّ شعر تغلب ما عدا المهلهل. وسيعتمده البحث في تقصي مادّته الشعريّة.

[1]-ينظر: السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل)، ضياء الكعبي، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص20.

[2]-قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (291هـ)، حقّقه وقدّم له رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995م، ص31.

[3]-ينظر: عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (322هـ)، تحقيق عباس عبد الساتر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص23.

-ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، د.ط، د.ت. وسيعتمده البحث في تقصيّ المادّة الشعريّة عند المهلهل بن ربيعة.

-السّرد القصصيّ في الشعر الجاهليّ، د. حاكم حبيب عزر الكريطي، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م.

- تطوّر الشعر القصصيّ في وصف الأوابد من العصر الجاهليّ إلى العصر الأمويّ، الدكتور أحمد محمد النجار، دار النهضة العربية، مصر، د.ط، 1978م.

- الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربيّ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.

- موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

- منهج البحث وإجراءاته:

يقوم البحث على تتبّع النصوص الشعريّة الموصولة بموضوعه، وتحليلها، وتفسيرها، واستنباط النتائج التي تستخلص منها، مع الاستعانة بمعطيات المنهج الوصفيّ وأدواته التطبيقيّة.

-عرض البحث والمناقشة والتحليل:

ذاق الإنسان العربي قبل الإسلام ويلات الحروب، وما جرّته المنازعات من آثارٍ سلبيّةٍ على المجتمع، وقد "شغل الشاعر العربي منذ قصد القصيد بتنمية أغراضه وإثراء فنّه بضروب شتى من الخيال؛ فقصّ القصص وهو بمعرض الحديث عن الظروف البيئيّة

والطبيعيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وأحوال الخصب والجدب، والسلم والحرب"[1]، وقد صوّر الإبداعُ الشّعريّ عصرئذٍ الحربَ ومعاركَها، وكثيراً ما لجأ الشعراء إلى السّرد القصصيّ في موقف الحرب؛ لأنّه "أسلوب أكثر استيعاباً لما يريدون أن يحمّلوه من حقائق وأخبار"[2]. والقصّة هنا مستمدّةٌ من واقع الحياة، والشاعر العربيّ قبل الإسلام استمدّ صوره ومادّة شعره من الحياة؛ فمن البديهي أن يتضمّن شعره قصصاً حدثت له أو لغيره[3]، ولمّا كانت الحرب تمتدُّ على رقعةٍ زمنيّةٍ واسعةٍ في أيام تغلب؛ كان حريّاً بشعر الحرب أن يأخذ نصيباً وافراً من نتاجهم الشعريّ؛ بل كان للحرب دورٌ واسعٌ في قولهم الشعر برمته، ونستطيع تحسّس البوح الإبداعيّ في أشعار الحرب التغلبيّة التي اعتمدت صورةً حكائيّة، وسرداً قصصيّاً في وصف المعركة، ونجد الشاعر "يأتي بحكاية أو قصّة ويضعها في شعره، والهدف منها ليس خلق الصورة؛ بل تطويع هذه الحكاية أو القصة ودمجها داخل عمله الفنيّ لتبدو في شكل صورة ممتزجة بما فيها وما بعدها لتكون الصورة أكثر إيحاءً، ويحاول الشاعر دعم حكايته بصور جزئيّة متتابعة، وهذا التتابع والتسلسل في أجزائها يكوّن الصورة التي أراد تصويرها، وإن طرافتها وجدّتها يصحّ أن نطلق عليها (الحكاية المصورة)"[4]. وتروي الحكاية المصوّرة عند شعراء تغلب جانباً من جوانب سلوكهم البطولي، والاقتدار الفردي والجماعي، وسلوك فرسانهم وخيولهم.

---

[1]-تطوّر الشعر القصصيّ في وصف الأوابد من العصر الجاهليّ إلى العصر الأمويّ، الدكتور أحمد محمد النجار، دار النهضة العربية، مصر، د.ط، 1978م، ص17.

[2]-السّرد القصصيّ في الشعر الجاهليّ، د. حاكم حبيب عزر الكريطي، طباعة ونشر وتوزيع دار تموز، دمشق، ط1، 2011م، ص196.

[3]-ينظر: المرجع السابق، ص15.

[4]–الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، دراسة نقدية نصية، د. صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1982م، ص204–205.

وقد أجادوا في وصف المعارك وتصويرها، وسرد أحداثها، ووصف السلاح والكتائب، والخيل، والقتلى، ودارت معاني الفخر والحماسة في معظم أشعارهم؛ فالشاعر الأخنس بن شهاب[1] مثلاً يسرد لنا أحداث المعركة التي جرت يوم غبغب[2]، فيحدّد زمن الغارة في الصباح، ثم يعرض لوصف فرسان قومه وخيولهم وهي تطلع على الأعداء، وقد أثارت حولها الغبار، فيقول[3]:

صَبَحْنا فزارةَ قبلَ الشّروقِ بشُمِّ العرانينِ من تغلبِ
بكلِّ فتى غَيْرِ رِعدْيدةٍ يُرَوّي السّنانَ إلى الثّعلبِ
على كلِّ جرْداءَ سُرْحُوبةٍ وأجْردَ ذي مَيْعةٍ سلْهبِ

[1]– وهو الأخنس بن شهاب بن شَرِيق بن ثُمامة ابن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غَنْم بن تغلب، أحد الشعراء والفرسان، كان رئيساً شاعراً، جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر، وهو فارس العصا. (ينظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للآمدي (370هـ)، تح عبد الستار فراج مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1961م، ص30. والاشتقاق ص336).

[2]–وهو يوم لتغلب على قبيلة فزارة، أغار فيه الأخنس بن شهاب، في خيل من تغلب، على فزارة يوم غبغب، فاقتتلوا، وثبتوا، وحمل الأخنس على حذيفة بن بدر الفزاري فأرداه قتيلاً، فتنادت فزارة وخلّصتْه، ثمّ هُزمت فزارة، وخلّفت الغنائم والسبايا لتغلب. (ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن علي بن محمد المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق د. السيد محمد يوسف، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ط، 1977م، ص1/243–245).

[3]–شعراء تغلب في الجاهلية (أخبارهم وأشعارهم)، الديوان، صنعة علي أبو زيد، السلسلة التراثية (19)، الكويت، ط1، 2000م، ص144–145. شمّ العرانين: سادةٌ ذوو أنفة. غير رعديد: غير جبان. الثعلب: طرف الرمح الداخل في جُبّة السّنان. السّرحوبة من الإبل: الطويلة السريعة، ومن الخيل: العِتق والكرم. ومَيْعَة جري الفرس: أوّله ونشطه. والسلهب من الخيل: الطويل على وجه الأرض. أقشعت الحرب: انكشفت. مازن وسَمْح ومرَّة والأشهب وعمرو وقرّة: فزاريون قُتلوا يوم غبغب. شُغّب: تهييج الشرّ والفتنة. الرّبْرب: القطيع من بقر الوحش أو الظباء، لا واحد له. كبش أعضب: مكسور القرن.

فلمّا رأوْها تثيرُ العَجَاجَ خوارجَ منْ جانبي غَبْغَبٍ
تنادى حُذَيْفةُ في قومِهِ ونوَّهَ بالأقربِ الأقربِ
فأطْعَنُهُ، فهوى للجَبيْن وحَصَّنَهُ آجِلٌ مُرْبِب
وأقْشَعَتِ الحربُ عنْ مازنٍ وسَمْحٍ ومُرَّةَ والأشْهَبِ
وعمرو وقُرَّةَ في عُصْبةٍ مقاحيمَ في حربهم شُغَّبِ
وأُبنا بكلِّ فزاريّةٍ مُهَفْهَفَةِ الكَشْحِ كالرَّبْرَبِ
وأُبْنا بقرْنٍ لنا ناطحٍ وآبوا بِقَرْنٍ لَهُمْ أعْضَبِ

يسرد الشاعر أحداث هذه المعركة التي جرت في يوم غبغب، وهو يوم لتغلب على فزارة، وكان الأخنس بن شهاب قائدهم، ويصوّر فرسان قومه وخيولهم عند خروجهم على العدوّ صباحاً، فلمّا رأى الفزاريون خيول تغلب على هذه الهيئة، دخل الرعب قلوبهم، وتلجلج أمرهم، واضطرب حبلهم، فتنادوا فيما بينهم، وعلا صياحهم يتذامرون لردّ الغارة (تنادى حذيفة في قومه)، ولكنّ ذلك لم يردّ كيد تغلب، وما هي إلّا برهة حتى حسم بنو تغلب المعركة (وأقشعت الحرب عن مازنٍ)؛ فكثر القتل في فزارة، وقُتل عدد من فرسانهم، وغَنِمَ بنو تغلب الغنائم والسبايا (وأُبنا بكلّ فزارية مهفهفة)، ولم ينسَ الأخنس في ختام أبياته أن يشير إلى النتيجة القتالية المهمة في البيتين الأخيرين بالظفر بالنصر والغنائم والسبايا.

إنّ القصة هنا قد استكملت عناصرها من: تشويق وإثارة من خلال الحركة، والانفعال السريع للحدث وعنصرَي الزمان والمكان، وحملت في سردها اقتدار الشاعر وقومه، واستعراض بطولاتهم الجماعية بأسلوب ينقل المتلقي إلى ساحة القتال من خلال مشاركته العاطفية عبر الإثارة والتشويق؛ فالسّرد شكّل جانباً من جوانب البناء الفنيّ في هذا الحدث، وقد أكّد معنى الوحدة المتسلسلة، والتلاحم المنطقيّ بين تجربة الشاعر وتعبيره،

وذلك من خلال سرد واقعته الحربيّة، وتعبيره عنها بنسيجٍ فنيّ مثير، يجعل المتلقي يتابعها بشغف، ومتعة، وينساق وراءها حتى تتأزّم أحداث المعركة مقتربةً من ذروتها التي أثارت الاهتمام في متابعتها حتى وصولها لنتيجتها النهائيّة.

وتدور هذه الواقعة الحربيّة حول شخصيّةٍ رئيسيّةٍ هي شخصيّة الشاعر، وهي الشخصيّة المحوريّة التي تدور حولها الأحداث، وقد حملت أبعاداً نفسيّة تشي بالانفعالات الحماسيّة، والفخر بالقوّة والبطولة الحربيّة للشاعر وقومه، وقيادته لهم، ويشاركه في الأحداث شخصياتٍ ثانويّة عديدة، هي: فرسان قومه عند استخدامه (نا) الدالّة على الفاعلين في بعض أفعال القصيدة، مثل: (صَبَحْنا، وأُبنا)، وأيضاً شخصيات ثانوية تتمثّل في قتلى أعدائه اللذين ذكرهم، وهم: حذيفة ومازن وسَمْح ومرَّة والأشهب وعمرو وقرّة، وقد ساعدته هذه الشخصيات على إبراز قوّتهم وبطولاتهم.

والراوي في النّصّ هو الشاعر، وهو في ذات اللحظة الشخصيّة الرئيسيّة للقصّة؛ أي إنّه الراوي المشارك الذي نجده يشارك في الأحداث، ويلتحم بها، ونقل للقارئ بطولاته وقومه، كما نجد أنّ المروي له ظاهرٌ في القصيدة، وهو قبيلة أعدائه من بني فزارة، ويؤدي المروي له وظيفته في توضيح الأحداث، وبيان الراوي ومكانته.

وعندما يصوّر السّفّاح التغلبي[1] قصّة الكتيبة التي قادها وسرى بها ليلاً، ووصف أبطالها وهم ما يزالون يصارعون النوم، وتحدّث عن التقائهم بكتيبة أخرى يصف فيها رئيس تلك الكتيبة؛ فإنّه يعمد إلى تفصيل جزئيات الصورة فيها حيث يقول[2]:

وكتيبةٍ لَفَّفْتُها بكتيبةٍ شهْباءَ باسلةٍ يُخافُ رَداها
خَرْساءَ ظاهرةِ الأداةِ كأنّها نارٌ يشبُّ سعيرُها بلَظاها
فيها الكماةُ بنو الكماةِ كأنّهم –والخيلُ تَعْثُرُ في الوغى بقناها
شُهْبٌ بأيدي القابسين إذا بدَتْ بأكُفِّهم بهر الظَّلام سناها
من كلِّ أروع ماجدٍ ذي مِرّةٍ أنّى، إذا لحقت خُصىً بكُلاها
وعصابةٍ شُمِّ الأنوف بعثتهمْ لَيْلاً، وقد مال الكَرى بِطُلاها
فَسَرَيْتُ في وَعْثِ الظَّلامِ أقودهم حتى رأيْتُ الشّمس زالَ ضُحاها
وغَشِيْتُ قَيْساً في القَليْبِ غُدَيّةً وطعنْتُ أوّلَ فارسٍ أُوْلاها
وضربْتُ في أبْطالهم فتجدَّلوا وحملتُ مُهْري وَسْطها فَحَماها

---

[1]–هو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير، من بني تَيْم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب. شاعرٌ مُقل قديمٌ، وأحد خطباء تغلب في حرب البسوس، والسفّاح واحد من فرسان تغلب المعدودين، وكان جرّاراً للجيوش في الجاهلية. (ينظر: المحبّر، محمد بن حبيب (245 هـ)، تح. د. إيلزة ليختن، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص300، الاشتقاق: ص337.)

[2]–شعراء تغلب في الجاهلية، الديوان، ص183–184. لفّ الكتيبة بالأخرى: خلط بينهما في الحرب. وكتيبة شهباء: لما فيها من بياض السلاح والحديد. وكتيبة خرساء: إذا صمتت من كثرة الدروع، أي لم يكن لها قعاقع. القَبَس: الشعلة من النار، والقابس: طالبها. بهر الظلام: غلبه وأضاء جوانبه. الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه، ذو الهيبة. المِرة: القوّة. الطُّلى: جمع الطُّلْية، وهي العنق. ابن لأي: أراد عمرو بن لأي بن الحارث.

حتى رأيْتُ الخيلَ بعد سوادها كُمْتَ الجلودِ خُضِبْنَ من جَرْحاها

يَعْثُرْنَ في عَلَقِ النَّجيعِ وتَارةً وَسْطَ العجاجِ يطأن من صَرْعاها

قُلْ لابن لأيٍ: هلْ ثأرْتُ بمعشري؟ أم هل مُغاورةٌ ولا أغْشاها

لله درُّ بني زهيرٍ في الوغى يومَ الطّعانِ إذا انتمى قِرْناها

إنّ الحكاية أو القصة في نصّ السفاح التغلبي انطوت على تفصيلات وجزئيات يظهر من خلالها القيمة القتاليّة، والفعل الفروسيّ الرائع ممزوجة بالصنعة الفنيّة العالية، وقمة الإبداع الشعريّ وأصالته؛ فالشاعر يطيل في جزئيات المعركة، ويلّح في تفصيلها ممزوجة بالإيقاع الحماسيّ البطوليّ الذي ينبعث في نفسه، كما أنّ استخدام الشاعر للألوان التي وصف بها النار، والكتيبة، ونجيع الدم قد أضفى على القصّة واقعية أدعى لجمالها وفنيّتها، وإنّ مزجه اللونين الأسود والأحمر منح القصّة إيحاءً بدلالات حربيّة، كذلك تكمن أهمية الأسلوب القصصيّ في تعبيره عن الاقتدار الفرديّ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بصورة الاقتدار الجماعيّ، ومن هنا نرى أنّ الشاعر قد حقّق ذاتيته وعاطفته، وانفعاله النفسيّ من خلال الشعور الجماعيّ، ومن خلال وصفه لمشقة القتال، وعمق المكابدة والعناء حين بعث فرسانه ليلاً، يصارعهم النوم ويغالبهم الكرى في وعث الظلام، مما يضفي على الصورة واقعية أكثر، وبُعداً رائعاً تتضّح من خلال تجسيده عناصر القصّة البسيطة، وتقريره لنهاية المعركة، وما تمخّضت عنه من نتائج.

والملاحظ في هذه القصّة الشعريّة المكتملة البناء، أنّ الأحداث فيها واضحة التنوع، والتتابع، كقوله: (فَسَرَيْتُ، وغَشِيْتُ، وطعنْتُ، وضربْتُ، وحملتُ)، وتتصاعد الأحداث وتتابع، وتقترب من نتيجتها، ليفرغ الشاعر بعدها لوصف النتيجة القتاليّة، ووصف مشهد الدم والقتل وهزيمة الخصم؛ فالخيل: (خُضِبْنَ من جَرْحاها، يَعْثُرْنَ في عَلَقِ النَّجيعِ)،

والشاعر يتجاوز أحياناً الدّقة القصصيّة؛ التتابع والسّرد، لينشغل بوصف حدث الحرب؛ لأنها تتّفق وحالته النفسيّة، وموقفه الحماسي.

ويركّز الشاعر هنا على الحدث الرئيسيّ، وهو استعراض بطولاته الحربيّة وقيادته لفرسان قومه، وتتمثّل الشخصيات في أحداث القصّة بالشاعر بوصفه الشخصيّة الرئيسيّة المحوريّة، وقومه (بني زهير)، وخصومه (بني قيس)، ويذكر أيضاً شخصيّة (ابن لأي) في آخر النّصّ التي أكّد السارد من خلالها مراده في تحديّ أعدائه.

والراوي هنا هو الشاعر، ونجده قريبٌ من الحدث، يشارك فيه؛ فهو الذي قاد كتيبته المجهّزة، وأغار بها على أعدائه بني قيس، ويضرب أبطالهم، ويقتل فرسانهم، وهو إذاً: راوٍ مشارك يعي تفاصيل الحدث ومجرياته وأشخاصه وأحداثه، ويقف على مسافةٍ قريبةٍ منه؛ فهو يجسّد بذلك شخصيّة البطل والراوي في آنٍ معاً، ويتمثّل المروي له في النصّ بشخصيّة (ابن لأي) التي توجّه إليها بالتحديّ لتشهد له بطولاته، وتشهد بشجاعته وإصراره على بلوغ مراده، وأدّى المروي له هنا دوره في تحديد سمات الراوي.

وتطالعنا قصيدة مهلهل بن ربيعة يصف حاله بعد مقتل أخيه، فأخذ يقصّ مفتخراً بما حلَّ بخصومه، وهو يتمنى أن ينبش قبر أخيه ليخبره عمّا لاقاه الأعداء من ضرب عسير قاسٍ، مصوّراً وقفته الصارمة في طلب ثأره، يقول الشاعر[1]:

[1]–ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص38–42. ذو حسم: وادٍ بنجد. لا تحوري: لا ترجعي. الذنائب: الموضع الذي قُتل فيه كليب. بياض الصبح: انبلاجه. الشعثمان: رجلان، هما: شعثم وعبد شمس، ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة، قتلا يوم واردات. بجير: هو ابن الحارث بن عباد فارس بكر. الغشم: أشد الظلم. القشعمان: النسر العظيم. ناء به الحمل: أثقله وأماله. خلج: شغل، وأتعب. الخِذَبّ: العظيم والضخم. نكبّ: نقلب ونصرع. حجر: قرية باليمامة. الصليل: الصوت ذوالرنين. لجّ القوم: اختلطت أصواتهم. عاكفةً: مقيمة.

أَلَيْلَتنا بِذِي حُسُمٍ أنيري ... إذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُورِي

فَإِنْ يَكُ بالذّنائِبِ طَالَ لَيْلِي ... فَقَدْ أَبْكِي مِنَ الْلَّيْلِ الْقَصِيرِ

وأَنْقَذَنِي بَيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهَا ... لَقَدْ أُنْقِذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيرِ

فَلَوْ نُبِشَ المقابِرُ عن كليبٍ ... فيعلمَ بالذّنائبِ أيُّ زيرِ

بِيَوْمِ الشّعْثَمَيْنِ أَقَرَّ عَيْناً ... وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ

وَأَنّي قَدْ تَرَكت بوارِدَاتٍ ... بُجيْراً في دمٍ مِثْلِ الْعَبيرِ

هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ ... وَبَعْضُ الغَشْمِ أَشْفَى للصُّدُورِ

وَهَمَّامَ بنَ مُرّةَ قَدْ تَرَكْنَا ... عَلَيْهِ الْقُشْعُمَانِ مِنَ النّسُورِ

يَنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالْرُّمْحُ فِيهِ ... ويَخْلُجُهُ خِدَبٌّ كَالْبَعِيرِ

نَكُبُّ الْقَومَ لِلأَذْقَانِ صَرْعَى ... وَنَأْخُذُ بالتَّرائِبِ والصُّدُورِ

فَلَوْلا الرِّيْحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحُجرٍ ... صَلِيلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذّكُورِ

فدىً لِبَني شَقَيقَةَ يوْمَ جاءُوا ... كَأُسْدِ الْغَابِ لَجَّتْ في الزَّئيرِ

وَكَانُوا قَوْمَنَا فَبَغَوْا عَلَيْنَا ... فَقَدْ لاقَاهُمُ لَفَحُ السَّعِيرِ

تَظَلُّ الطّيْرُ عاكفةً عَلَيْهِمْ ... كَأَنَّ الخَيْلَ تَنْضَحُ بِالْعَبِيرِ

إنّ القصة أو الحكاية هنا تستكمل عناصرها ومشاهدها؛ فالحادثة المتمثلة بحادثة القتل، والمكان المتمثل بـ (الذنائب) موضع مقتل أخيه، والزمان المتمثل بتلك الليلة في (ذي حُسُم) التي جلبت الحزن والأسى للشاعر، فضلاً عن ذكره لشخصيات مهمة، هم فرسان بني بكر (الشعثمين) و(همام بن مرة)، ثمّ يمضي الشاعر مفتخراً بقومه ويصف شجاعتهم، فإنّ قوّة منازلتهم بلغت القمّة في الشدّة والبأس؛ إذ إنّ صليل السيوف تسمعه الأقوام الأخرى في مواضع بعيدة؛ فالمبالغة هنا أراد الشاعر بها تصويراً دقيقاً لاقتدارهم

وبطولاتهم الفروسيّة، وهنا يتصاعد الحسم البطولي، والاقتدار الفردي والجماعي في آن معاً، لأنّه في مَعْرِضِ الأخذ بالثأر للمقتول، فلا بدّ أن يبرز جوّ التحديّ والشدّة، ما يمنح الواقعة قوّة إيحاءٍ، وعمق تأثيرٍ واستجابة.

والراوي هنا حاضرٌ مشارك للأحداث عليمٌ بها، وهو الشاعر مهلهل، والمروي له في النصّ، هو: قبيلة (بكر)؛ إذ يسعى الشاعر لتأكيد مراده وهدفه ورسالته؛ وهي الانتقام منهم، وأنّهم لن يفلتوا من عقابه ثأراً لأخيه كليب، والمروي له هنا موجود لتحديد طبيعة الراوي الراغبة بالانتقام والأخذ بالثأر.

ونجد هنا ظواهر الطبيعة تَمثُل في الصورة الكلّية للشاعر مثولاً كاملاً؛ فعناصرها واضحة في وعي الشاعر ومخيلته، اعتمدها أساساً في تكوين الجوانب الفنيّة لصورته التي لا تمثل "إلا صدى لما يتردد في النفس من أنغام وما يتراءى للخيال من صور باهتة غريبة غير مألوفة تعيش في أعماق الشعور"[1]؛ فالليل في هذا النّص رمزٌ يعبّر عن أحزان الشاعر المتراكمة التي أثقلت كاهله، اتّخذه الشاعر لإبراز شعوره النفسي المؤلم؛ فالشاعر يرسم من خلال الليل صورة لها بعدها الإيحائي والنفسي، ليهيئ المشاركة الوجدانية والنفسية التي تلقي بظلالها على الصورة بأكملها. كما أنّه يجد في الليل ثباتاً أبدياً يتوافق مع طوله واستمراره مع استمرارية الحزن الذي يداخله، وهنا يعطي الليل قوّةً وإيحاءً، وعمق تأثير واستجابة لأنّه يرمز إلى الحالة النفسية للشاعر؛ فالطبيعة برموزها وعناصرها تؤثر في نفسية الشاعر، والحال التي يكون عليها، وتأثيرها واضح فعّال في مزاجه؛ فليل المهلهل طويل يعمّه السكون والتطاول والثبات، ويحمل معاناته.

[1]–الرمزية في الأدب العربي، تأليف الدكتور درويش الجندي، مكتبة مصر بالفجالة، د.ط، 1958م، ص99.

ويساعد في هذه القصص الحكائية النَّفس الذاتيّ مع اختلاطه بالنَّفس الجماعي؛ إذ إنّ شعور الفخر والحماس يطغى عليها؛ فقد وظّف شعراء تغلب في تلك الوقائع البطولية قصصاً ظلَّت متناقلةً بين الناس بمنزلة حدث تاريخيّ لا يمكن نسيانه؛ فنجد الشعراء يسردون ما حدث معهم في المعركة، وما شاهدوه مصوّرين ما اختلج في أعماقهم، وما تركته المعركة من أثر نفسي، وانفعال شعوري عبّر عنه بصدق وموضوعيّة، ومن تلك النماذج أيضاً ما قاله النعمان بن زرعة[1] في يوم وادي الكَنْهِل[2]، وكان لتغلب على قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل، يقول الشاعر[3]:

وَلَوَ انَّ سَلْمى أبْصَرَتني في الوَغى وجُموعَ قَيْسٍ يَومَ وادي الكَنْهَلِ
وبَرايَتي هامُ الكُماةِ كأنّما تُذْري السُّيوفُ بها نَقِيْفَ الحَنْظَلِ
يَمْشُون في الزَّغَفِ المُضاعَفِ نَسْجُهُ مَشْيَ الجمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ
في مأزِقٍ تَدعو الأرَاقِمُ وَسْطَه بالمَشْرَفيِّ وبالوَشِيْجِ الذُّبَّلِ

---

[1]– وهو النعمان بن زرعة بن السفّاح بن خالد بن كعب بن زهير بن تَيْم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب، وهو أحد فرسان تغلب وشعرائها المتأخرين. (ينظر: الأنوار، ص174/1).

[2]–وهو يوم لتغلب على قيس بن ثعلبة، وأغار فيه النعمان بن زُرعة في خيل من تغلب على بكر بن وائل، فأصاب بني قيس بن ثعلبة منهم في وادي الكَنْهِل، واقتتلوا قتالاً أشدّ ما يكون. (ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار، ص179/1–182).

[3]–شعراء تغلب، الديوان، ص240–241. الزّغف: الدرع المحكمة. البُزَّل: جمع بازل، وهو الجمل في سنته التاسعة. الأزْق: الضيق في الحرب، والمأزق: الموضع الضيق الذي يقتتلون فيه. الوَشِيْج: شجر الرماح. قناً ذابل: دقيق، جمعه: ذُبّل. الخِدَبّ: الشيخ. ضبيعة، وتيم، وثعلبة: من بكر بن وائل. الخشام: العظيم من الجبال. الأجدل: العُقاب. اعْتام: اختار. وشيبان بن شهاب هو جد بني مِسْمَع، كان برز يوم وادي الكنهل، فحمل عليه النعمان وطعنه وصرعه. القسطل: الغبار الساطع. البُهْمة: الشجاع.

أيْقَنْتِ أنّ أباكِ غَيْرُ خِدَبَّةٍ رَثِّ السَّلاحِ ولا اليراعِ الأعْزَلِ

ودَعَوا ضُبَيْعَةَ ثمَّ تَيْماً بَعْدها وثَنَوا بثَعْلَبَةَ الأغَرِّ الأوّلِ

فَدَعَوْتُ في حَيِّ الأراقِمِ دَعْوَةً خَطِفَتْهم خَطْفَ الخُشامِ الأجْدلِ

واعْتَمْتُ شَيباناً بأوّلِ طَعنةٍ فهوى لحُرِّ جَبيْنه في القَسْطلِ

في فتيةٍ بِيْضِ الوجُوهِ كأنّهم شُهْبٌ تُضيءُ ظلامَ لَيْلٍ مُقْبِلِ

لِلّهِ درّهمُ فوارِسَ بُهْمَةٍ لوغَيْرُ تَغْلِبَ رامَها لمْ تُفْلَلِ

وقف الشاعر هنا مصوّراً ما دار في الميدان، ووسيلته إلى ذلك هذا السرد الذي تماسكت به أجزاء أبياته، فضلاً عن ذلك الارتباط النفسيّ بين أجزائه، مما شكّل صورةً نفسيّة؛ بل صورة تفصيليّة للأحداث الواقعة، كان الشاعر دقيقاً في وصف تلك المعركة من حيث؛ التحرّك، والتصوير المسهب بخفّة، وسرعة تتناسب وأصوات الطعن والضرب بالسيوف، مجسّداً عناصر القصّة بكلّ دقّةٍ، مع الإشارة إلى أسماء الأعداء وفرسانهم ليبيّن واقعية الحدث المرويّ؛ فقد عمد إلى الحدث، ثمّ متابعة الحركة فيها ابتداءً من ملاقاة بعضهم البعض، و وَصْفِ الجوّ العام لتلك المعركة؛ فالجموع اجتمعت في وادي الكنهل مكان المعركة، ومشيهم كالجمال التي يمشي بعضها إلى بعض، مدجّجين بالدروع المحكمة، فتداخلت السيوف والرماح في ذلك المشهد المأزوم على أعدائه، وتتعالى خطورة المشهد وتحتدم؛ فيدعو الفرسان بعضهم بعضاً من الطرفين المتقاتلين، فيخطف فرسان الشاعر الأعداء خطف العُقاب الأجدل الشديد، ليخلُص الشاعر بذلك إلى نتيجته القتاليّة في القضاء عليهم، والإشادة بشجاعتهم، إنصافاً لهم، وإعلاءً من قيمة انتصاره وقومه.

إنّ الراوي في القصيدة هو الشاعر النعمان بن زرعة، والذيّ يعدّ في ذات اللحظة الشخصيّة الرئيسيّة، إي هو الراوي المشارك الذي يستخدم ضمير المتكلم (أبصرتني،

برايتي، فدعوت، اعتمت)؛ فيظهر ملتحماً بالحدث، والمروي له هو (سلمى)، وبهذا فإنّ المروي له ظاهرٌ بالاسم الصريح، وهذا ما أسهم في توضيح سمات الراوي من بطولةٍ وفروسيّةٍ وبأس، وأسهم في تطوّر الأحداث والشخوص.

ويقدّم الشاعر عمرو بن معاوية[1] لوحةً فنيّة تموج بالحركة واللون والصوت، وتتّسم بالدّقة في وصف مشهدٍ حربيّ بدا رهيباً في قلب الشاعر؛ لما قدّمه من وصفٍ عميق، وتصويرٍ دقيق من خلال سرد أحداث معركة قومه مع الملك (ابن عنق الحية) اليمني، وقدّم عَرضَه القصصيّ مستكملاً عناصرَهُ من تشويق وإثارة عبر الحركة والانفعال السريع للحدث، واحتدام الصراع بين شخوصه، يقول الشاعر[2]:

أتانا ابنُ عُنْقِ الحيّةِ القَيْلُ قادراً ... على أمره من تغلبَ بنةِ وائلِ
بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراته ... تَخالُ دويَّ الرَّعْدِ صَوْتَ الصَّواهلِ
يُجَرُّ إلينا كلُّ أجردَ سابق ... وشَطْباءَ كالشَاهين بين الأجادلِ
فَراحَ وكُمْتُ الخَيلِ تَعْثُرُ في الدِّما ... على مثل أيْدي النّائحات الثَّواكلِ

---

[1]–عَمْرو بنُ مُعاويَة: شاعرٌ فارسٌ. له ذِكْرٌ وشعرٌ يوم خزازى؛ فقد عاصر كليباً ومهلهلاً والسفاح. (ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار، ص203/1).

[2]–شعراء تغلب، الديوان، ص287–290. البَلَق: سواد وبياض. وحجرتا العسكر: جانباه من الميمنة والميسرة. الشّطب من الخيل: الطويل الحسن الخَلق. والشاهين: من سباع الطير. الأجدل: الصقر. الأقب: الضامر. والأياطل: جمع أيطل: وهي الخاصرة. الذوابل: الرماح. استوسقت: اجتمعت وأذعنت وأطاعت. الأخيال: جمع خيل: وعمرو بن وائل: هو ابن عنق الحية نفسه. التِّنِّبل والتّنبال: الرجل القصير. الشطبة: السيف. القَطل: القطع، يقال: قَطَل عنقَه: إذا ضربها. الرِّبد: الغُبْرَة. والفَنيق: الجمل الفحل لا يركب لكرامته على أهله. والهجان: البيض الكرام من الإبل. وشالت نعامة القوم: خفّت منازلهم منهم، أو ذهب عزّهم، والنعامة يُضرب بها المثل في الجبن والفِرار.

ولمّا التقينا بالكُلاب كأنّنا أسودُ الشّرى لاقتْ أُسودَ الجلاجلِ
إذا اعترضتْ خيلُ العدوّ رأيْتها كشاءِ الفلا في الذُّعر قُبَّ الأياطلِ
وغنّتْ كُلَيْباً خيلها بصَهيلها حواليه مثلُ الرّعْد صوْتَ الصَّواهلِ
فَدُرْنا ودارتْ غَمْرةُ الموتِ بيننا نُطاعِنُ عن أصْحابنا بالذّوابلِ
فولّتْ ذُرى قيس واستَوْسَقَتْ لنا قبائلُ تتلوها رقابُ القبائلِ
رَمَيْناهم بالفيلق الجمِّ فالْتَقَتْ فوارسُ ما تخشى ورودَ المناهلِ
كأنّ الذي يَلْقى الحمام يَفوتُهُ ولم يَنْجُ منها من يُعَلّلْ بنائلِ
فشدّ كُليبٌ شدّةً ورماحُهم شَوارعُ فيه بين صادٍ وناهل
فأفرجَتِ الأخْيالُ عنه ورُمْحُه خَضيبٌ من اللّخميّ عمرو بن وائلِ
ودارتْ رَحَانا واستدارتْ رَحاهمُ وكلٌّ بصيْرٌ في الوغى بالمقاتلِ
فما زال ذاك الدّأبَ حتى تواكلتْ فوارسُ من غَسّان غيرُ تنابلِ
وطارتْ بعُنْق الحيّة القَيْلِ شَطْبَةٌ ولَمْ يَحْظَ من حَمْدِ الثَّناءِ بطائلِ
ووَلَّتْ على أعقابها الخيلُ شُرّداً يُكَسَّرُ في أعجازها كلُّ ذابلِ
فأقْسِمُ لو أدْرَكْتُهُ لَتَرَكْتُه صَريعاً ذليلَ الحَظِّ بين القَيَاطِلِ
وأُفْرِد ربْداً في الفَلاء كأنّه فَنيْقُ هِجان في نَعام شوائِلِ
وقد مات منهم مَنْ صرَعْنا فريسةً سباعٌ على هامات قَوْم أفاضلِ

يبدو الشاعر هنا وكأنّه مؤرخٌ لما يقع أمامه؛ فقد عمد إلى الحدث واصفاً تفاصيل المعركة ومشاهدها المتتالية، ثمّ متابعة الحركة فيها ابتداءً من التقائهم بـ (الكُلاب) حتى نهاية المعركة، وذلك عبر سلسلة من الأفعال المتتالية في النصّ أشارت إلى تعاقب أحداث المعركة، مثل: (فَدُرْنا، فولّتْ، فشدّ، فأفرجَتِ، فما زال، فأقسم)، فجاء بتسلسل

منطقي وزمني واقعي لها، فضلاً عن غياب شخصية الشاعر هنا، فهو يصف حاله وحال المقاتلين من قومه، فلم يخصّ ذاته بشيء من التمجيد والإطراء، وهذا يدلّ على العاطفة الجماعيّة للقبيلة، وتبدو هنا أيضاً دقّة الشاعر في رصد المقاتلين، والتّصدّي لهجومهم عند اعتراض خيل العدوّ القوّية التي أتتهم (كشاء الفلا في الذُّعْرِ قبَّ الأياطلِ)، ولم تنسَ ذاكرته السّمعية أصوات الخيل التي تصهل حول القائد كليب عبر التصوير السّمعي لأصوات الخيل المتعالية الصّهيل مثل الرعد، ودارت دورتهم على العدوّ الذي ولّى من المعركة إثر ذلك بقوله (فولّتْ ذُرى قيس واستوسقَتْ)، ويزداد المشهد تصاعداً برمي العدوّ بالجيش العظيم (الفيلق الجمّ)، ودوران رحى جيش الشاعر وجيش أعدائهم، ويخرج رمح كليب مخضّباً بدم الملك (عمرو بن وائل) ابن عنق الحية، منتصراً بذلك له ولقومه، واستخدام الشاعر هنا لِدلالةِ اللون الأحمر عبر كلمة (خَضيب) أعطى صورة الانتصار بُعداً أعمق تأثيراً في ذهن المتلقي، وزاد المشهد قوّةً وتأثيراً وواقعيةً.

ويشحن مشهد انهزام العدوّ، ودوران رحى الموت عليه من خلال استمرار المعركة عبر دوام (ذاك الدّأب) الذي زاد المشهد حركيّةً عمقّت توالي الأفعال البطوليّة لفرسان الشاعر وأبطال حكايته، لينتهي إلى نتيجة المعركة بتصوير مشهد هروب العدوّ، وتكسير الرماح في أعجاز خيولهم، ومقتل ساداتهم وأشرافهم؛ إذ عمد إلى ذكر الحدث بشكل مفصّلٍ، وجاء كلامه كاملاً شاملاً، ولم يكن خارجاً على الموضوع، ولا مُخلّاً بالوحدة الفنيّة في القصيدة؛ فاستعمال السّرد القصصيّ فيها بوصفها قصيدةً غنائيّة، أسبغ على مراحل بنائها قدرةً فنيّةً عالية على استيعاب الحدث وتطويعه. وهذا ما أفادت منه القصيدة ذات المنحى الغنائيّ، في إكساب العواطف الذاتيّة المظهر الموضوعي، ومما يقوي فيها من الوحدة العضويّة[1]؛ فقد أوجد الشاعر صورةً متكاملةً لتلك المعركة متجسّدةً بسردٍ

[1]–ينظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربيّة، القاهرة، ط4، 1969م، ص454.

للحادثة أو المعركة، لذا فقد جاء هذا البناء الفنيّ المتكامل في وحدة متقنة أجاد الشاعر في نَسْجِها، وفي إطارٍ من الوحدة الفنيّة المتماسكة وذلك لأنّها استوعبت الغرض الحماسيّ في مشاهده المتتابعة؛ إذ إنّ هذه الوحدة جعلت القصيدة كائناً حيّاً لا يمكن تقطيعه إلى أجزاء. فالشعر العربيّ قبل الإسلام هو الوسيلة التعبيريّة الأولى عن حياة العرب؛ فمن البديهيّ أن يتضمن هذا الشعر ألواناً من تلك القصص التي أنتجتها الحياة العربيّة[1].

وقد هيأ الشاعر لقصته البناء السرديّ المتكامل؛ فقد ذكر شخوصها في الضمير (نا) الدالّة على الفاعلين، وهم فرسان تغلب، وقائدهم كليب، وفي ذكر أعدائهم من اللخميين، وفوارس غسان، وقائدهم ابن عنق الحيّة، وحدّد مكان الواقعة في الكلاب في إطارٍ زمانيٍّ تتوالى فيه الأحداث.

وبناءً على هذا نقول: إنّ قصيدة الحرب التغلبيّة في النماذج السّابقة استوعبت تجارب شعرائها في إطارٍ من الوحدة العضوية والفنيّة المتماسكة، في قالبٍ قصصيّ تشويقيّ جعلها كائناً متميزاً، ومزيجاً متجانساً في هذا النمط الحكائيّ القصصيّ.

وهذا ما نجده أيضاً في نمطٍ آخر اعتمدته تلك القصيدة، وهو نمط الحوار؛ فقد تعتمد القصّة في قصيدة الحرب التغلبيّة الحوارَ أحياناً، والحوار عندهم يعتمد على معانٍ نفسيّة ترتبط بالحدث، على نحو ما نجده في قول الشاعر عمرو بن كلثوم[2]:

بَكَرَتْ تَعْذُلُني وَسْطَ الحِلال سَفَهَاً بِنْتُ ثُوَير بنِ هلالِ

[1]- ينظر: السّرد القصصيّ في الشعر الجاهليّ، د. حاكم حبيب عزر الكريطي، ص15.

[2]–شعراء تغلب، الديوان، ص38. الحِلال: جمع حلّة، وهي جماعة بيوت الناس؛ لأنّها تُحَلّ. الشّرب: القوم المجتمعون على الشراب. والفضال: جمع فَضْلة، وهي الخمر. الخميس: الجيش. والجحفل: الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل.

بَكَرَتْ تَعذلُني في أنْ رأتْ ... إبِلي نَهْباً لشَرْبٍ وفِضَالِ

لا تلُومِيْني فإنيّ مُتْلفٌ ... كلّ ما تَحوي يَميني وشِمالي

لسْتَ إنْ أَطْرَفْتُ مالاً فَرِحاً ... وإذا أتْلَفْته لستُ أبالي

يُخْلِفُ المالَ فلا –تسْتَيئسي– ... كَرّيَ المُهْرَ على الحيِّ الحِلالِ

وابْتذالي النّفسَ في يومِ الوَغى ... وطِرادي فوقَ مُهري ونِزالي

وسُمُويّ بَخَميسٍ جَحْفَلٍ ... نَحو أعْدائي بِحَلّي وارتِحالي

يتجلّى في نصّ الشاعر عنصرٌ قصصيّ مهمٌّ في البناء الفنيّ لأبياته؛ هو عنصر الحوار الذي يوظّفه الشاعر للتعبير عمّا يدور في نفسه المأزومة وما يختلجها؛ فيعطي النصّ طابعاً قصصيّاً تشويقيّاً، ويأخذنا هذا الأسلوب القصصيّ إلى أعماق الشاعر، ويطلعنا على صراعه الداخليّ مع نفسه، ومع الآخرين من حوله.

ويقيم الشاعر حواراً فنيّاً مع عاذلته في موقف دراميٍّ متصاعد، وذلك من خلال حالة التأزم والصّراع التي يخلقها الحوار بين الطرفين المتحاورين (الشاعر، والعاذلة)، وانطلاقاً من وجهات نظرهم المختلفة تجاه مواقف حياتيّة معيّنة، وذلك من خلال الصراع الداخليّ والخارجيّ.

والشاعر هنا لم يدعْ لعاذلته منفذاً فكريّاً أو فنيّاً يسمح بقبول أفكارها التي حملتها بتأثيرها العاطفيّ على الشاعر لتحقيق ما أرادت؛ إذ إنّها تحاول أن تحرم الفارس من فرصة ممارسة حقّه في تلك القيم الاجتماعيّة التي لطالما حلم بها الفارس المثالي، وسعى من خلالها لتحقيق فروسيته وبطولته؛ فلا كمال له ولفروسيته إلّا من خلال منظومته الأخلاقيّة.

ويتشكّل محور الصراع بين الطرفين عندما تبدأ العاذلة بمحاولة ثني الشاعر عن الكرم والفروسيّة، لينبري لها بوصفها بالسّفه (سفهاً بنت الثوير) تقديساً لفكرة الكرم والشجاعة عندما حاولت أن تحرم الفارس الشاعر من حقّه في ممارسة تلك القيم الاجتماعيّة؛ فتمثّل هذا المحور في معالجة الحدث الموضوعيّ فنيّاً باختيار أسلوب الحوار المتصاعد في مراحل سريعة لنمو الحدث، والذي يخلص إليه الشاعر ليحقّق غرض الفخر الذّاتي؛ فكان الأسلوب القصصيّ منفذه الفنيّ لاستيعاب تجربته.

ولمّا كانت الحرب المدار الرئيس في حياة الشاعر، وحياة قبيلته ومجتمعه؛ فإنّنا نرى جهدهم الشعريّ يتّجه نحو الانتصار لصورة البطولة والشجاعة؛ فيحقّق من خلال هذا الحوار الاستجابة الفنيّة المناسبة للفخر بالنّفس، والذي لا يتوافر للشاعر إلّا من خلال مواقف بطوليّة متميّزة في ساحات الحرب. وهذا تماماً ما نسميه البناء الهندسيّ في عملٍ سرديٍّ استرجاعيّ يعالج حدثاً مثل الحرب والبطولة والفروسيّة، فنجد الشاعر نهض بشخصيّاتٍ هندسيّة صمّمها لتكون منفذاً فنيّاً تعبيريّاً عمّا يدور في داخله ووجدانه[1]؛ فملامح البنيّة الفنيّة لنصّ الشاعر عمرو بن كلثوم في معالجة حدثه الموضوعيّ تقوم على استحضاره امرأةً يقيم معها حواراً يفرّغ من خلاله مجمل الصراع النفسيّ في داخله.

[1]-ينظر: في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد240، 1998م، ص256.

-نتائج البحث:

كشف البحث عن ملامح السّرد القصصيّ في قصيدة الحرب التغلبيّة، ووجدَ أنّ السّرد القصصيّ متكامل القوام في هذه النصوص؛ إذ استخدمه الشعراء ليكون منافذ تعبيريّة عن حماستهم، وقد كان هناك اقترانٌ بين شعر الحرب التغلبيّ والقصّة؛ فأدّى ذلك وظيفةً فنيّةً جماليةً عمّقت التأثير في المتلقي، ومعنى ذلك أنّ الميل إلى القصص وأساليبه بدا ظاهرةً عامّةً في أشعارهم الحربيّة.

إنّ السّرد القصصيّ أسلوبٌ فنيّ لجأ إليه شعراء تغلب لتصوير معاركهم؛ فالشّاعر دائماً يهدف إلى تسخير جلِّ طاقته الإبداعيّة، وتوظيف قدراته الفنيّة لبلوغ الهدف الذي يرمي إليه في التعبير عن أفكاره ومشاعره ورغباته، والتأثير في المتلقي، وإحداث المتعة في آن واحد، وأثناء ذلك يتّبع منهجاً فنيّاً واضحاً، لذلك وجد الشعراء في القصّة الشعريّة المجال الواسع للتعبير عن أفكارهم وواقعهم، والمواقف التي مرّوا بها؛ فأنتجوا الشعر القصصيّ بما يمتلك من مقومات الحوار والسّرد والوصف، وأسهمت جميعها في خلق جوّ قصصيّ اصطبغ برؤية الشعراء وحالتهم النفسيّة.

لقد اتّسم السّرد القصصيّ في قصيدة الحرب التغلبيّة بالاستطراد والعفويّة أحياناً، ونجد تفاوتاً في عناصر تلك القصص سواءٌ في الشخصيات، أو في الأحداث، أو في الزمان والمكان، أو في النتيجة.

أدّى استعمال السّرد القصصيّ إلى تماسك العمل الفنيّ في القصيدة؛ فاتّسمت بالوحدة الفنيّة، وأسبغ على مراحل بنائها قدرةً فنيّةً عالية على استيعاب الحدث وتطويعه، وقد أوجد شعراء تغلب صورةً متكاملةً لتلك المعركة متجسّدةً بالسّرد للحادثة أو المعركة؛ لذا جاء هذا البناء الفنيّ المتكامل في وحدة متقنة أجاد الشاعر في نَسْجِها، وفي إطارٍ من الوحدة الفنيّة المتماسكة، وذلك لأنّها استوعبت الغرض الحماسيّ في مشاهده المتتابعة؛

إذ إنّ هذه الوحدة جعلت القصيدة كلّاً متكاملاً لا يمكن تقطيعه إلى أجزاء؛ فقصيدة الحرب التغلبيّة في النماذج السابقة استوعبت تجارب شعرائها في إطارٍ من الوحدة العضويّة والفنيّة المتماسكة، في قالبٍ قصصيّ تشويقيّ جعلها كائناً متميزاً، ومزيجاً متجانساً في هذا النمط الحكائيّ القصصيّ.

ويُلاحظ أنّ بعض القصائد قائمة على الحوار، تنبعث فيه فلسفة الشاعر في الحياة، وتظهر به ملامح الإصرار الذي دفعه إلى هذا السلوك الفنيّ؛ فجاء الحوار ضمن مستلزمات بناء الحدث الموضوعي، ليؤدي وظيفةً فنيّةً تستوعب الصراع الداخليّ والخارجيّ في أعماق الشاعر، وكذلك استخدمه في التعبير عن حالات الفخر الذاتيّ.

ومما يلاحظ في نمط البناء السرديّ في قصيدة الحرب التغلبيّة استعمال الوصف فيه إلى جانب المبنى الحكائيّ؛ فغالباً ما يُبنى النصّ على حدث المعركة، يسرده الشاعر، ويبدأ بوصفه والدوران حوله. فضلاً عن طغيان صوت الشاعر أكثر من أصوات الأشخاص الآخرين، بتكريسه صفات وخصائص مرتبطة بمشاعره وأحاسيسه، فيكاد صوت الآخرين يغيب.

المصادر والمراجع:

-الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (321هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

-الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن علي بن محمد المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق د. السيد محمد يوسف، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ط، 1977م.

-تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد-البنية)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997م.

- تطوّر الشعر القصصيّ في وصف الأوابد من العصر الجاهليّ إلى العصر الأمويّ، الدكتور أحمد محمد النجار، دار النهضة العربية، مصر، د.ط، 1978م.

- حدود السرد، جيرار جنيت، ترجمة بنعيسى بوحمالة، مجلة آفاق المغربية، العددان 8-9 لسنة 1988م.

-ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، د.ط، د.ت.

-الرمزية في الأدب العربي، تأليف الدكتور درويش الجندي، مكتبة مصر بالفجالة، د.ط، 1958م.

-الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، دراسة نقدية نصّية، د. صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1982م.

–السّرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل)، ضياء الكعبي، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

–السّرد القصصيّ في الشعر الجاهليّ، د. حاكم حبيب عزر الكريطي، طباعة ونشر وتوزيع دار تموز، دمشق، ط1، 2011م.

–السرديّة العربيّة، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2000م.

–شعراء تغلب في الجاهلية (أخبارهم وأشعارهم)، علي أبو زيد، السلسة التراثية (19)، الكويت، ط1، 2000م.

– عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (322هـ)، تحقيق عباس عبد الساتر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

– في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد240، 1998م.

– قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (291هـ)، حقّقه وقدّم له رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995م.

–الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربيّ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.

– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، إعداد وتصيف يوسف خيّاط ونديم مرعشلي، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

– المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للآمدي (370هـ)، تح عبد الستار فراج مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1961م.

– المحبّر، محمد بن حبيب (245 هـ)، تح. د. إيلزة ليختن، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

– موسوعة السّرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

– النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربيّة، القاهرة، ط4، 1969م.

تنمية الموارد البشريّة في ريف محافظة درعا
دراسة تحليلية

طالب الدكتوراه: طارق العوده جامعة دمشق– كلية الآداب – قسم علم الاجتماع

إشراف الدكتورة: أميرة عرقسوسي

المشرف المشارك الدكتورة: شفاء المصري

الملخص

هدف البحث إلى رصد واقع تنمية الموار البشرية – الإنسان الريفي– في ريف درعا من أجل الوصول إلى دراسة اجتماعية علمية تتناول أبعاد الظاهرة موضوع البحث بالكشف والتفسير، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم أداة الملاحظة في جمع البيانات من مجتمع البحث.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها: شهد الإنسان الريفي في ريف درعا تغيراً ملموساً إيجابياً في جوانب حياته التنموية كافة التعليمة والاقتصادية والترويحية والدينية والصحية ولغته في ضوء عملية التنمية وحملات التبرع من أجل النهوض بالواقع الخدمي.

الكلمات المفتاحية : التنمية ، الموارد البشرية ، الإنسان الريفي .

Human resources development in the countryside of Daraa overnorate an analytical social study

Abstract

The research aimed to monitor the reality of the development of human resources – rural humans – in the countryside of Daraa in order to reach a socio-scientific study that addresses the dimensions of the phenomenon in question by detection and interpretation, using the descriptive analytical approach, and used the observation tool in collecting data from the research community.

The research reached a set of results, the most important of which are: The rural person in the countryside of Daraa witnessed a tangible positive change in all aspects of his developmental life educational, economic, recreational, religious, health and his language in light of the development process and donation campaigns in order to advance the service reality.

Keywords: development, human resources, rural people.

-المقدمة:

ممّا لا شك فيه أنّ أحداث مشاريع التنميّة الريفية الاجتماعية والثّقافيّة والتّعليميّة والاقتصاديّة والترويحيّة والترفيهيّة في المجتمع الرّيفيّ تساهم بشكل كبير جداً في تنميّة الإنسان الريفي.[1]

ولعلّ مقولة تنميّة الموارد البشريّة في ظل التنمية الريفية أمست اليوم محوراً مشتركاً لمعظم العلوم الإنسانيّة، وقد عرّفت التنمية الريفية بأنها "تلك العملية التي تهدف إلى تحسين نوعية الحياة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للأفراد داخل المحيط الريفي"[2]، ولقد نتج عن مشروعات تنميّة الموارد البشريّة في عملية التنمية الريفية إلى تحسين وضعه الاجتماعيّ، واستخدامه الموارد والإمكانات والمعرفة المتاحة، وفقاً لخطط التّنميّة في كافة جوانبها أحدث كثيراً من المنجزات والنّجاحات منها:

زيادة معدلات الإنتاج الزّراعيّ وزيادة في الاستهلاك؛ تحسين في مستويات المعيشة، وزيادة معدّلات العمر المتوقّع للإنسان، ونقص في معدّلات وفيّات الرّضّع والأطفال، وتخلّص العالم من عدد من الأوبئة، وزيادة نسبة السّكّان الّذين يتمتّعون بمياه الشّرب ووسائل الصّرف الصّحيّ، وزيادة نسبة المتعلّمين في مراحل التّعليم، وضعف في سلطويّة العادات والتّقاليد الّتي تعيق التّقدم والتنميّة.

وتحتاج الدولة السورية في ظل الأزمة الراهنة إلى التخطيط أكثر من ذي قبل عام 2011 م نتيجة انخفاض مواردها الاقتصادية المتاحة. الأمر الذي دعا أفراد

[1] العبد الله، محمد، المجتمع المصري بعيون سوريّة، ط1، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، 2007، ص93.

[2] نشادي، عبد القادر، التنمية الريفية مفهومها ومقارباتها السوسيولوجية، مجلة المداد، المجلد 13، العدد 1، 2023، ص10.

المجتمع المحلي في ريف درعا إلى الوقوف إلى جانب الدولة في تحسين واقعهم المعيشي وتحقيق تنمية تستهدف كافة الموارد البشرية في مختلف قطاعات مجتمع البحث.

وفي ظل التحديات الراهنة والمتغيرات السريعة التي تشهدها سورية، تبرز أهمية تنمية الموارد البشرية كركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة في سورية عموماً وفي ريف درعا خصوصاً. إن الاستثمار في العنصر البشري وتطوير قدراته ومهاراته يُعد من أولويات النهوض بالمجتمعات الريفية، حيث يمكن للتنمية البشرية أن تلعب دوراً محورياً في تعزيز الاستقرار والنمو الاقتصادي والاجتماعي.

– المدخل المنهجي للدراسة:

أولاً – مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

لا جدال أنّه ليس هناك قضيّة تتربع على قمة اهتمامات عالمنا المعاصر مثل قضيّة تنميّة الموارد البشريّة بشكل عام وتنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة بشكل خاص، وذلك من خلال تطوير النظّم الاجتماعيّة، رغم إنها مستمرة ومتجددة بتجدد متطلبات الحياة، ومراد ذلك إن تنميّة الموارد البشريّة في ريف درعا ببساطة وإيجاز تعني أن يتمكن الإنسان من تحقيق حسن استخدام وتوظيف ما لديه من طاقات بشريّة وإمكانيات متنوعة لتغطيّة كافة احتياجات ومتطلبات حياته بكل جوانبها، وفقاً لمستوى عصره الذي يعيشه وبأكبر قدر من الوفرة وأعلى مرتبه من الجودة، وفي نفس الوقت يحقق فائضاً ليعاد استثماره من أجل المزيد من التطور والتقدم نحو الواقع الأفضل لبلوغ الطموح الأكثر في النظّم الاجتماعيّة في ظل الظروف الحالية التي تمر بها سورية من حرب خارجية إرهابية عليها.

وبناءً على سبق جاءت هذه الدراسة كمحاولة موضوعيّة لدراسة واقع تنميّة الموارد البشريّة في ريف درعا؛ من أجل الوصول إلى أي مدى تم تنميّة المورد البشري ضمن الواقع الاجتماعيّ في ريف درعا

وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

1. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في نظام التعليم في ريف درعا؟
2. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في النظام الاقتصادي في ريف درعا؟
3. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في النظام الترويحي في ريف درعا؟
4. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في النظام الديني في ريف درعا؟
5. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في النظام الصحي ريف درعا؟
6. ما واقع تنميّة الموارد البشريّة في لغة الحياة اليوميّة في ريف درعا؟

ثانياً– أهمية الدراسة ومسوغاتها:

تأتي أهميّة أي دراسة علميّة من خلال ما تفتحه من أفاق، وما تقدمه من إضافات تسهم في ترسيخ الوعيّ العلميّ للظاهرة المدروسة، ويأمل الطالب أنّ تحقق الدّراسة مثل هذا الغرض من خلال لفت الانتباه مدعماً بالنتائج العلميّة إلى عملية تنميّة الموارد البشريّة في ريف درعا. وبناءً على ذلك تبرز أهميّة الدّراسة من المسوغات التالية:

1. يُعَدُّ التعريف بتنميّة الموارد البشريّة في ريف درعا ضرورة مهمة لارتباطها بعمليّة التنميّة الكلية. فاليوم الرهان الوحيد هو على هذه الموارد (الإنسان) وعلى تنميته.
2. الحاجة الماسَّة في مجتمعنا السّوريّ، وخاصة المجتمع الرّيفيّ إلى مزيد من الدّراسات العلميّة الوطنيّة التّي تكشف النّقاب عن طبيعة حياة المجتمع

الرّيفيّ في محافظة درعا. وخاصة في ضوء الدّور التّنمويّ الّذي تؤدّيه الجماعات الرّيفيّة في سوريّة.

3. حاجة التنميّة البشريّة في ريف درعا إلى العديد من الدراسات التي تتناولها بالبحث والتحليل الاجتماعيّ، وخاصة في هذه الآونة الحاليّة نظراً لما تتعرض له الجمهوريّة العربيّة السوريّة من أزمات.
4. الرغبة القوية في الوقوف على نتائج حملات التبرع التي جرت في العديد من مدن وقرى محافظة درعا التي تعكس مدى وعي العنصر البشري في متطلبات حياته.

ثالثاً –أهداف الدّراسة:

تتمثَّل أهداف الدّراسة بما يلي:

1. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في النظام التعليمي ريف درعا.
2. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في النظام الاقتصادي ريف درعا.
3. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في النظام الترويحي ريف درعا.
4. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في النظام الديني ريف درعا.
5. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في النظام الصحي ريف درعا.
6. التّعُرف إلى واقع تنمية الموارد البشريّة في لغة الحياة اليومية ريف درعا.

رابعاً– مفاهيم ومصلحات الدراسة:

- الموارد البشرية: هي مصطلح يطلق على قوة العمل البشري في ريف درعا، وهي أهم عنصر من عناصر الإنتاج الأخرى كالأموال والتكنولوجيا والتسهيلات

الأخرى، وهي تجعل من تلك العناصر ذات معنى وفائدة للريف وتعتبر أكثر فاعلية وتأثيراً على تحقيق الأهداف.

- تنمية الموارد البشرية: يقصد بتنمية الموارد البشرية الاستعداد البارع والوظيفية أو المهمة التي تساعد على تعزيز فاعلية الموارد البشرية.
- أهل الرّيف: هم شريحة اجتماعيّة من شرائح مجتمع محافظة درعا يعيشون في الرّيف ويعتمدون في تأمين معاشهم على الزّراعة والتّجارة ووظائفهم، يرتبط أفراده فيما بينهم بروابطَ دمويّة تقوم على أساس مبدأ قيم عصبيّة النّسَب الواحد، ومع الآخرين بروابط المواطنة، وينظرون بجديّة إلى موضوع العمل. ويخضعون في تنظيم أمور حياتهم الخاصّة والعامة إلى كل من قوانين الدّولة الحاكمة وفي بعض المواقف إلى ما يبت فيه شيخ العشيرة أو أحد عوارفها
- المجتمع الرّيفي: جماعة أوّليّة كون الفرد فيها شديد الحساسيّة لآراء وأفعال الآخرين، فهو يبني سلوكه وتصرفاته الذّاتيّة ليس وفقاً لاحتياجاته الخاصّة وبناء شخصيته المفردة، بل وفقاً للبناء السّلوكيّ لجماعته، التّي تمارس ضغطاً وجدانيّاً وأخلاقيّاً لا يستطيع الفرد الفكاك من تأثير سطوته.
- القرية: مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية محددة بمنطقة ريفيّة نشأت بينهم علاقات انسانيّة متبادلة وترتب على هذه العلاقات وجود جماعات منظمة ومؤسسات اجتماعيّة، وأصبح لهم بحكم الخبرة المكانية والروابط الإنسانيّة، عادات وتقاليد وقيم وعقائد وامان وأهداف مشتركة.

خامساً –منهجيّة الدراسة:

- منهج الدراسة: تُعد هذه الدراسة من الدراسات التي تهدف إلى الوصف الكيفي؛ ولذلك تتطلب طبيعة وأهداف الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفيّ التحليليّ، لأنه يساعد في وصف وتفسير الظاهر بشكّل دقيق.
- مجالات الدراسة:

1- المجال المكاني: يشمل الامتداد الجغرافي لريف درعا.

2- المجال الزماني: من 3/20 إلى 7/10 من عام 2023.

3- المجال البشري: يشمل الريفين في ريف درعا ذكوراً وإناث.

سادساً –الدراسات السابقة: هنالك بعضُ الدّراسات العلميّة المتعلّقة بموضوع الدّراسة دون تطابقها مع موضوع الدّراسة الحاليّة لتنميّة الموارد البشريّة، وقد تناولت الدّراسة هذه الدّراسات وفق تسلسلها التّاريخي من الأقدم إلى الأحدث:

–دراسة مروان ديب النجار (سوسولوجيا اتخاذ القرار الإداري في تنميّة الموارد البشريّة: دراسة ميدانية في مؤسسات القطاع العام، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع جامعة دمشق، 2011).[3]

[3] النجار، مروان ديب، سوسولوجيا اتخاذ القرار الإداري في تنميّة الموارد البشريّة: دراسة ميدانية في مؤسسات القطاع العام، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع جامعة دمشق، 2011.

هدفت الدراسة التعرف إلى آليات اتخاذ القرار الإداري، ومدى قدرة متخذي القرار الإداري في مؤسسات القطاع العام على اتخاذ قرار يساهم في تنمية الموارد البشريّة. والتعرف إلى السبل التي نستطيع من خلالها تنميّة مواردنا البشريّة في مؤسسات القطاع العام؟

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

- إن ما يقارب41% من العاملين لم يتلقوا أي مساعدة أو متابعة عند الالتحاق بالعمل أول مرة مقابل 59% وجدوا هذه المتابعة.
- إن 32% من العاملين أفراد عينة الدراسة لم يخضعوا لأي دورة في أي من مجالات المؤسسة، مقابل 68% قاموا بذلك.
- كانت نسبة الذين يرون أن العمليّة التدريبية متوسطة النجاح في المؤسسة عالية، مقارنة مع من قالوا بأنها غير ناجحة.

– دراسة سامي عزيز حسين (دراسة أثر تنمية الموارد البشريّة على كفاءة المنظمات الصناعيّة في ظل المنافسة المحليّة والدوليّة: دراسة ميدانية على الشركات العربيّة السوريّة للصناعات الإلكترونية سيرونكس، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد جامعة تشرين، 2011).[4]

جاءت أهداف هذه الدراسة في محاولة التعرف إلى واقع تنمية الموارد البشرية في المنظمات الصناعية، ودراسة تأثير هذه التنمية على القدرة التنافسية للمنظمات الصناعية، بالإضافة إلى الطرق المستخدمة في تنمية الموارد البشرية.

[4]حسين، سامي عزيز، دراسة أثر تنمية الموارد البشريّة على كفاءة المنظمات الصناعيّة في ظل المنافسة المحليّة والدوليّة:دراسة ميدانية على الشركات العربيّة السوريّة للصناعات الإلكترونية سيرونكس، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد جامعة تشرين، 2011.

فخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من بينها:

إن المنظمات الصناعية لا تصمم برامجاً تدريبية لتنمية المراد البشرية بما ينسجم مع الحداثة والتطور، وإنما اكتفت بتدريب وتأهيل هذه الموارد حسب الاحتياجات التدريبية. كما إن المنظمات لا تضع خططاً لاختيار الاستراتيجية التنافسية الملائمة.

-دراسة طالبي رياض (التنمية الريفية المستدامة في إطار سياسات استخدام الموارد الطبيعيّة المتجددة: دراسة مقارنة بين الجزائر، وتونس والمغرب، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجاريّة وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، 2011).[5]

تمثلت أهدف الدراسة في محاولة تشخيص مشاريع التنميّة الريفية في البلاد الثلاث، والوقوف على أفضل السياسات في استثمار الموارد الطبيعيّة.

وتوصلت الدارسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- تشكل سياسات استثمار الموارد الطبيعة مفتاح نجاح أو فشل التنميّة الريفيّة، وذلك لاختلافها باختلاف المناطق، وأن كل السياسات تفرض مشاركة الريفين- المورد البشري- في رسم سياسات التنميّة وذلك لإنجاح التنميّة الريفية المستدامة.

[5]رياض، طالبي، التنمية الريفية المستدامة في إطار سياسات استخدام الموارد الطبيعيّة المتجددة: دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس والمغرب، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجاريّة وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، 2011.

- دراسة علي جوادي وفريد طهراوي (نحو قياس أفضل للتنمية البشرية: مؤشر التنمية البشرية المقترح، بحث علمي محكم، 2017).[6]

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة بناء مؤشر جديد للتنمية البشرية يكون أكثر شمولا وتعبيرا عن الانجازات المحققة في مجال التنمية البشرية، ولتحقيق هذا الهدف تم مراجعة مفهوم وقياس التنمية البشرية من خلال تقارير التنمية البشرية التي يصدرها البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة منذ 1990. وعملت الدراسة على الإبقاء على الخيارات الأساسية للتنمية البشرية (الصحة، التعليم والدخل) وعلى نفس الطريقة في حساب المؤشر (المتوسط الهندسي) مع إضافة بعدين لها والمتمثلين في الحرية والعمالة، حيث استعمل مؤشر الديمقراطية كتعبير عن الحرية، ومعدل العمالة نسبة إلى عدد السكان ومعدل إجمالي العمالة غير المعرضة للمخاطر نسبة إلى إجمالي العمالة كتعبير على العمالة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: وجود علاقة وثيقة بين الأبعاد الجديدة (الحرية والعمالة) والتنمية البشرية، مؤشر التنمية البشرية المقترح يعبر أفضل عن مفهوم التنمية البشرية لأنه يتضمن زيادة أكبر للفرص والخيارات التي يتمتع بها الإنسان ويبرز أوجه القوة والضعف في مجال التنمية البشرية، انخفاض قيمة مؤشر التنمية البشرية المقترح عن مؤشر التنمية البشرية في الجزائر يدل على انخفاض المؤشرات الفرعية المضافة، لكن هذا لا ينقص من الانجازات المحققة في الأبعاد الأساسية في مجال التنمية البشرية (الصحة، التعليم والدخل).

[6] جوادي، علي، طهراوي، فريد، نحو قياس أفضل للتنمية البشرية: مؤشر التنمية البشرية المقترح، المجلد 1، العدد 2، 2017، ص 162-180.

- دراسة محمد فارس وسليمان الطلاع وريم أبو نمر (دور إدارة الموارد البشرية في تعزيز الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كمتغير وسيط (دراسة تطبيقية على وزارة الصحة الفلسطينية في المحافظات الجنوبية، بحث علمي محكم، 2023).[7]

هدفت الدراسة التعرف على دور إدارة الموارد البشرية في تعزيز الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كمتغير وسيط في وزارة الصحة الفلسطينية. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، تكون مجتمع الدراسة من الموظفين الإداريين بوزارة الصحة الفلسطينية والبالغ عددهم (1083) موظفًا وموظفة. تكونت عينة الدراسة من (315) موظفًا وموظفة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن واقع تطبيق أبعاد إدارة الموارد البشرية في وزارة الصحة الفلسطينية بدرجة متوسطة، وأن مستوى الأداء المؤسسي بدرجة متوسطة، وجاءت الأبعاد كالتالي (الاستقطاب والاختيار، التقييم، التدريب والتطوير، الحوافز والتعويضات) بوزن نسبي (69.67%، 67.04%، 64.36%، 61.50%) على الترتيب، وأن مستوى إدارة الجودة الشاملة بدرجة مرتفعة، كما أشارت إلى وجود تأثير ذو دلالة احصائية لأبعاد الموارد البشرية (الاستقطاب والاختيار، والتدريب والتطوير، والتقييم، والحوافز والتعويضات) على الأداء المؤسسي في وزارة الصحة الفلسطينية، ووجود تأثير ذو دلالة احصائية لأبعاد الموارد البشرية (الاستقطاب والاختيار، والتدريب والتطوير، والتقييم، والحوافز والتعويضات) على الجودة الشاملة، ووجود تأثير ذو دلالة احصائية الجودة

[7] فارس، محمد، الطلاع، سليمان، أبو نمر، ريم، دور إدارة الموارد البشرية في تعزيز الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كمتغير وسيط –دراسة تطبيقية على وزارة الصحة الفلسطينية في المحافظات الجنوبية، المجلد 11، العدد 1، 2023، ص28-45.

الشاملة في وزارة الصحة الفلسطينية على الأداء المؤسسي للوزارة. وأيضًا أشارت إلى وجود تأثير ذو دلالة احصائية لإدارة الموارد البشرية في الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كتغير وسيط في وزارة الصحة الفلسطينية. الكلمات المفتاحية: إدارة الموارد البشرية، الأداء المؤسسي، الجودة الشاملة، وزارة الصحة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض نماذج من الدّراسات السّابقة يمكن القول بأنّ هذه الدّراسات تختلف عن دراسة تنمية الموارد البشرية في ريف درعا بعدّة نواحي، فالدراسة الحالية تعد دراسة وصفية تحليلية نظرية تتناول تنمية الموارد البشرية في ريف درعا.

تختلف الدراسة الحالية عن دراسة مروان النجار بأنها ستتناول ريف درعا وليس مؤسسات القطاع العام، وبأنها ستركز على أهمية تنمية الموارد البشرية في ريف درعا وليس على الجوانب الاجتماعية لآلية اتخاذ القرار الإداري الخاص بالتنمية.

أما اختلافها عن دراسة سامي حسن التي تناولت تنمية الموارد البشرية من الجانب الاقتصادي وفي منظمات قطاع الصناعة (القطاع العام)، فالدراسة الحالية ستتناول تنمية الموارد البشرية من جانب التحليل الاجتماعي في ريف درعا.

أما اختلافها عن دراسة طالبي رياض التي أعطت سياسات استثمار الموارد الطبيعية الجانب الأهم، بأنها سوف تركز على تنميّة العنصر البشري الذي سيستثمر هذه الموارد.

وتختلف عن دراسة علي جوادي وفريد طهراوي في موضوع البحث الذي رمى إلى قياس أفضل للتنمية البشرية: مؤشر التنمية البشرية المقترح، بينما البحث الحالي أهتم برصد واقع تنمية الموارد البشرية في مجتمع مغاير وهو المجتمع الريفي.

أما اختلافها عن دراسة محمد فارس وسليمان الطلاع وريم أبو نمر الذي تناول دور إدارة الموارد البشرية في تعزيز الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كمتغير وسيط في القطاع الصحي، بينما البحث الحالي يستهدف كل قطاعات التنمية البشرية.

أما نقاط تقاطع هذه الدراسات مع البحث موضوع الدراسة عديدة، فبعض هذه الدراسات يركز على الجانب المهم للبحث وهو تنميّة الموارد البشريّة، أما هذه الدراسة فستحاول تقديم رؤيّة تحليليّة لتنمية الموارد البشريّة في ريف درعا.

– المدخل النظري للدراسة:

أولاً– التعريف بتنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة:

إنّ تحقيق مفهوم تنميّة الموارد البشريّة لا يمثّل اهتماماً جديداً، بل يرجع إلى آلاف السّنين، ففي ظلّ الحضارة المصريّة حتّى القرن العشرين كانت تقوم الزّراعة على أساس مستدام، إذ أنّ الفيضان السّنويّ في فصل الرّبيع كان يوفّر المياه لتزويد التّربة من جديد بالمواد الغذائيّة. وقد شهد هذا النّظام بعد إنشاء سد أسوان تدهوراً مطّرداً، بالإضافة إلى تدهور خصوبة التّربة الّتي يتحتّم تعويضها بالأسمدة الصّناعيّة.[8]

لقد كان أوّل تعريف لمصطلح تنميّة الموارد البشريّة بمعناه الحديث الّذي يقرّ بالمقاربة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة في خان واحد في تقرير "بروندتلاند" الشّهير في عام 1987 الّذي عرّف تنميّة الموارد البشريّة بأنّها: تنميّة الموارد البشريّة الّتي تفي باحتياجات الحاضر دون المجازفة بقدرة أجيال المستقبل على الوفاء باحتياجاتهم "كما

[8] موشيت، دوجلاس، مبادئ التنميّة المستدامة، تر: بهاء شاهين، الدّار الدّوليّة للاستثمارات الثّقافيّة، القاهرة، 2000، ص13.

عُرّفت من قبل اللجنة العالميّة للتّنميّة المستدامة: بأنّها تعمل على تلبيّة احتياجات الحاضر دون أن تؤدّي إلى تدمير قدرة الأجيال المقبلة على تلبيّة حاجاتهم الخاصة"[9].وانتهت اللجنة العالميّة للتّنميّة المستدامة في تقريرها المعنون "بمستقبلنا المشترك "إلى أنّ هناك حاجة إلى طريق جديد للتّنميّة، طريق يستديم التّقدم البشريّ لا في مجال أماكن قليلة أو لبضع سنين قليلة، بل للكرة الأرضيّة بأسرها وصولاً إلى المستقبل البعيد.

كما نجد أنّ من التّعريفات المتّفق عليها لتعريف تنميّة الموارد البشريّة المستدامة هو أنّ "تنميّة الموارد البشريّة تهدف إلى التّوافق والتّكامل بين البيئة وتنميّة الموارد البشريّة من خلال ثلاثة أنماط هي: نظام حيويّ للموارد، نظام اقتصاديّ ونظام اجتماعيّ، بمعنى أنّ تنميّة الموارد البشريّة المستدامة عمليّة مجتمعيّة يجب أنّ تساهم فيها كلّ القطاعات والشّرائح والجماعات بشكل متناسق، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة ومورد واحد.

ومما لا شك فيه أنّ هناك خلط بين التّعريفات الّتي تناولت تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة، وهذا الاختلاف يرجع بشكل أساسيّ إلى أدوات وأهداف الباحثين المهتمّين بتنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة وإلى صعوبة تحديد سبل ووسائل الإنتاج فالحديث عن تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة المستدامة على المستوى الوطنيّ يختلف عن الحديث على المستوى العالميّ. في حين أنّ الحديث عن المستوى الوطنيّ يتناول الأهداف المتنافسة داخل حدود دولة معيّنة سواء أكانت أهدافاً اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو بيئيّة، والّتي يعتمد تحقيقها بصورة أساسيّة على موارد الدّولة وظروفها الخاصة إلى جانب علاقاتها الدّوليّة،

[9]أبو زنط، ماجدة أحمد، عثمان محمد، التنميّة المستدامة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2007، ص23.

فإنّ تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة على المستوى العالمي تركّز على القضايا الكونيّة مثل التّغيرات المناخيّة وغير ذلك، مع عدم الاهتمام بقضايا الفقراء والنّزاعات الدّوليّة، إضافة إلى أنّ كلّ دولة تهتمّ بصورة أساسيّة بتحقيق مصالحها الخاصّة.[10]

فقد ظلّ مفهوم تنميّة الموارد البشريّة يرسّخ تقسيم العالم إلى مركز وهامش، وظلّ يحمل بداخله دلالات تبعيّة نموذج تنميّة الموارد البشريّة في العالم الثّالث للعالم الغربيّ الصناعيّ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى اعتبار الإنسان هو هدف تنميّة الموارد البشريّة وصانعها؛ كونه المستفيد الأوّل والأخير من هذه تنميّة الموارد البشريّة من خلال عمليّة تربويّة وإنسانيّة منسجمة مع الإطار الاجتماعيّ والثّقافي والحضاريّ وصولا إلى تحقيق أهداف تنميّة الموارد البشريّة المرجوّة في تحقيق التّطور والتّقدّم والنّهوض بالواقع الصحيّ والاجتماعيّ للفرد والقضاء على النعرات الطائفيّة والتحزّب العشائريّ والصراع الدّوليّ.[11]

وهذه يتطلب أيجاد علاقات اجتماعية تقوم على تبادل التّأثّر والتّأثير بين الأفراد وعلى تفاعلهم المستمرّ ضمن إطار الثّقافة الّتي تسود المجتمع الّذي ينتمي إليه الأفراد[12]. وكما يتطلب جماعة لها نفس الهدف كما يرى "نيوكومب "بأنّ الجماعة هي الجماعة الوظيفيّة أي الجماعة الّتي يكون بين أعضائها تفاعل اجتماعيّ لتحقيق هدف مشترك وهذا لا يتحقق إلاّ بوجود أدوار تتداخل مع بعضها البعض.[13]

---

[10]السّيد، محمد زكي علي، أبعاد التنميّة المستدامة مع دراسة البعد البيئيّ في الاقتصاد المصريّ، كلّيّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة، جامعة القاهرة، 2000، ص11.

[11]محمد، إبراهيم، توسيع دائرة الملكيّة في تحقيق التنميّة، ليبيا، 2005، ص45.

[12]داود، ليلى خليل، الأصفر، أحمد عبد العزيز، الجماعة وخصائص التّفاعل الاجتماعيّ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2005، ص72.

[13]مخول، مالك سليمان، علم النّفس الاجتماعيّ، ط8، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006، ص64.

مما سبق لابد من أيجاد جماعات وظيفية تسعى إلى تنميّة الموارد البشريّة، دون أن تدع مجال للنعرات العشائريّة أو الطائفيّة أو التبعيّة للخارج...إلخ. تقوم فقط على علاقات الاجتماعيّة تبادليّة التأثر والتأثير بين المكلفين بتنميّة الموارد البشريّة والعنصر الهدف المراد تنميته.

ثانياً–العلاقة بين المجتمع الرّيفيّ وتنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة:

المجتمع الرّيفيّ هو الموضوع الأساس الذي تنفذ فيه عمليّة تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة، إذ أدى الأمر إلى تحديد مادي للبيئة الاجتماعيّة والمجتمع الرّيفيّ باعتباره ذلك الشكل من العلاقة التي تقوم بين الناس ومسؤوليتهم في منطقة محليّة حيث يقيمون في مزارع متناثرة وفي قريّة تكون عادة مركزاً لنشاطهم المشترك ونفهم من ذلك أن المجتمع الرّيفيّ ليس مجرد منطقة جغرافيّة ولكنه علاقة لابد من إقامتها والمحافظة عليها ؛لان سكان القطاع الرّيفيّ يشكلون نسبة عاليّة من إجمالي سكان البلدان الناميّة ولاقتصاده دوراً مهماً في اقتصاديات هذه البلدان التي تعتمد على استغلال وتصدير المواد الخام والمنتجات الزراعيّة النباتيّة منها والحيوانيّة وان أكثر من نصف سكان البلدان الناميّة يعيشون في المناطق الرّيفيّة، وان نسبة من يعمل بالزراعة منهم إلى إجمالي الأيدي العاملة يبلغ أكثر من النصف ويعمل الباقون في مهن أخرى كالخدمات المختلفة وغيرها.

لذا فان المصطلح المستعمل دولياً وعلى نطاق واسع للتنميّة الآن هو أنها عمليّة تغيير مقصودة تقوم بها سياسات محددة وتشرف على تنفيذها هيئات حكوميّة مسؤولة تعاونها هيئات أهليّة على المستوى المحلي، وتستهدف إدخال نظم جديدة وخلق قوى اجتماعيّة جديدة وتهيئة الظروف المتعددة لهذا الجانب من التغيير الاجتماعي الهادف

الذي يطلق عليه اسم (تنميّة الموارد البشريّة). فتنميّة الموارد البشريّة إذن هي الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانات البشريّة والماديّة والطبيعيّة المتاحة في وسط اجتماعي معين يهدف إلى تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفرديّة ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعيّة في نواحيها المختلفة كالتعليم والصحة والأسرة والشباب ثم الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاه الاجتماعي.

من هنا نفهم أن تنميّة الموارد البشريّة هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعيّة والاقتصاديّة من خلال أيديولوجيّة معينه لتحقيق التغيير المستهدف من اجل الانتقال بالمجتمع من حال غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها.[14]

وقد أكد "تودارو" إن تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة لا تعني تنميّة الموارد البشريّة الزراعيّة فقط بل ينبغي النظر إليها على أنها التغيير الذي يطرأ في البناء الاجتماعي والاقتصادي في المؤسسات والعلاقات والعمليات الاجتماعيّة في المناطق الرّيفيّة في حين ينظر "فسك)." إلى مفهوم تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة على أنها مجموعة من السياسات لها هدفان هما:

أ- الارتقاء بالفرد الرّيفيّ إلى المستوى الأفضل

ب – زيادة الإنتاج كماً ونوعاً لاستكمال واستيفاء متطلبات تنميّة الموارد البشريّة القوميّة والتي تشكل تنميّة الموارد البشريّة أحد مقوماتها.

[14] عقيل، أديب زيد، والأصفر، أحمد، علم الاجتماع الرّيفيّ، منشورات جامعة دمشق، 2008، ص79.

إن تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة تؤكد في محتواها على تهيئة الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والعمرانيّة ووضع خطط تنمويّة تهدف إلى زيادة الإنتاج الزراعي ورفع مستوى معيشة سكان الريف وتنصب هذه التأكيدات على أهميّة تنميّة الموارد البشريّة الزراعي باعتبارها الشرط الأساس للتنميّة الرّيفيّة ويمكن اعتبار تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة المتكاملة، أكثر شمولاً من تنميّة الموارد البشريّة الزراعيّة لأنها تتضمن عناصر أخرى كثيرة إضافة إلى عناصر تنميّة الموارد البشريّة الزراعيّة كاستصلاح الأرض والطرق الرّيفيّة والتسليف الإنتاجي والتسهيلات التعليميّة والصناعات الحرفيّة الرّيفيّة وحوافز الإنتاج وغيرها

ويمكن أن نستنتج بان تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة المتكاملة هي مجموعة برامج تستهدف النهوض بالقطاع الرّيفيّ في جميع النواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والحضاريّة والعمرانيّة ورفع مستوى الإنتاج وتحسينه إلى الحد الذي يرفع مستوى دخول الفلاحين ومستواهم المعيشي وتوفير مستلزمات الرفاه الاجتماعي.[15]

ثالثاً– محاور تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة:

إنّ تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة هي تنميّة لا تركّز على الجانب الزّراعيّ فحسب، بل تشمل أيضاً الجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فهي تنميّة بثلاث محاور متكاملة مترابطة تتمثل في المحور الاجتماعيّ، والمحور الاقتصاديّ، والمحور البيئيّ، والّتي يجب التّركيز عليها جميعها بنفس الأهميّة والمستوى، وتعبّر المحاور الثّلاثة للتّنميّة الرّيفيّة عن طبيعة المفهوم متعدّد الاختصاصات بشكل واضح. وفيما يلي عرض للأبعاد الثّلاثة للتّنميّة الرّيفيّة:

[15] المرجع السابق، ص96.

– المحور الاجتماعيّ: تتميّز تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة بهذا المحور بشكل خاص، وهو يمثل الجانب الإنسانيّ بالمعنى الضّيّق، إذ يجعل من النّمو وسيلة للالتحام الاجتماعيّ، وضرورة اختيار الإنصاف بين الأجيال. إذا يتوجب على الأجيال الرّاهنة – بالنّظر لمهمّة وضرورة عمليّة الإنصاف والعدل–القيام باختيارات النّمو وفقاً لرغبات الأجيال القادمة، وهكذا فإنّ كلاً من الجانب الاقتصاديّ والبيئيّ يرتبط بشكل كبير بالجانب الاجتماعيّ الّذي يمثله الإنسان وفيما يلي أهم عناصر الجانب الاجتماعيّ.

– المشاركة الشّعبيّة:

– التّنوّع الثّقافيّ.

– استدامة المؤسّسات.

– المحور الاقتصاديّ: يتمحور الجانب الاقتصاديّ للتّنميّة المستدامة حول الانعكاسات الرّاهنة المستقبليّة للاقتصاد على البيئة، إذ يطرح مسألة اختيار وتمويل وتحسين التّقنيات الصّناعيّة في مجال توظيف الموارد الطّبيعيّة. ووفقاً للجانب الاقتصاديّ، تعمل تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة على تطوير تنميّة الموارد البشريّة الاقتصاديّة مع الأخذ بالحسبان التّوازنات البيئيّة على المدى البعيد، باعتبارها الأساس والقاعدة للحياة البشريّة، الطّبيعيّة وكذلك النّباتيّة، وتمثّل العناصر الآتية الجانب الاقتصاديّ:

– النّمو الاقتصاديّ المستدام.

– كفاءة رأس المال.

– إشباع الحاجات الأساسيّة.

– العدالة الاقتصاديّة.

– المحور البيئيّ: يتمثّل الجانب البيئيّ للتّنميّة في الحفاظ على الموارد الطبيعيّة والاستخدام الأمثل لها على أساس مستدام، والتّنبّؤ لها قد يحدث للنّظم الايكولوجيّة من جراء تنميّة الموارد البشريّة، وذلك بغرض الاحتياط والوقايّة. ويتمحور الجانب البيئيّ حول مجموعة من العناصر تتمثّل في:

– النّظم الايكولوجيّة.

– الطّاقة.

– التّنوّع البيولوجيّ.

– الإنتاجيّة البيولوجيّة.

رابعاً–أهميّة تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة:

تبرز أهميّة تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة من خلال ما تصفه من البرامج التنمويّة بهدف تحقيقها وإنقاذ المناطق الرّيفيّة التي عادة ما تكون متخلفة بالمقارنة مع المراكز والمناطق الحضريّة التي تقع ضمن نطاقها الإداري وان كل المؤثرات الاقتصاديّة تشير إلى الكثير من المشكلات المتأصلة في تلك المناطق التي يرجع السبب فيها إلى الإهمال الشديد الذي عانت منه تلك المناطق وقلة البرامج الإصلاحيّة المخصصة للتنميّة في الماضي لان مسيرة تنميّة الموارد البشريّة في معظم البلدان الناميّة ركزت على تطوير القطاع الصناعي وغالباً ما تتم عمليّة التصنيع في المراكز الحضريّة مما يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة للسكان الحضر في مقابل استمرار تدهور مستوى معيشة سكان الريف ويمكن أجمال أهميّة تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة في النقاط الآتية:

– التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المستمر للمجتمع القريّة بفعل عوامل داخليّة وعوامل خارجيّة.

– أهميّة تنميّة الموارد البشريّة على المستوى المحلي اللامركزي.

– الدور الأصيل الذي يقوم به التخطيط الطويل المدى الموجه بوساطة الدولة.

– دور هيئات ومؤسسات الرعايّة الاجتماعيّة والثقافيّة والصحيّة والترفيهيّة والدينيّة والاقتصاديّة في إنجاز عمليّة تنميّة الموارد البشريّة.[16]

–تتصف تنميّة الموارد البشريّة بأنها عمليّة حضاريّة وشاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يقق رفاهيّة الإنسان وكرامته.[17]

– أن نجاح عمليّة تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة يتوقف إلى حد بعيد على إتباع الطرق العمليّة في تحديد البرامج والخدمات التي تتم على المستوى المحلي، وتحديد أولويات تنفيذها وفقاً للإمكانيات المتاحة.[18]

يفهم مما سبق لذلك ينظر إلى تنميّة الموارد البشريّة الريفيّة على أنها (استراتيجيّة مصممة بهدف تطوير الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لمجموعة من سكان الريف وتتضمن هذه الاستراتيجيّة توسع منافع تنميّة الموارد البشريّة لتشمل الفلاحين وصغار المزارعين والمستأجرين والمعدمين).

[16] المرجع السابق، ص88.

[17] العمر، معن خليل، التغير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنّشر والتّوزيع، عمان، 2004، ص68.

[18] عمران، كامل، الداود، توفيق، علم اجتماع التنميّة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2008، ص102.

– مدخل التحليل الاجتماعيّ والنتائج لواقع تنميّة الموارد البشريّة في ريف درعا:

أولاً– التّعليم:

يعدّ التّعليم حقّ لكلّ مواطن بقدر ما تتحمله قدراته واستعداداته، بغض النّظر عن وضعه الاجتماعيّ. وهو عمليّة تحكم المجتمع، من حيث آثاره الاجتماعيّة والاقتصاديّة والقوميّة والثّقافيّة والحضاريّة.

وترتبط نظرة القرويّ إلى التّعليم بعاملين هما:

– مجموعة القيم الّتي توجّه حياته، ويسعى إلى تحقيقها.

– حاجاته الرئيسيّة على أساس أنّ الزّراعة هي مهنته الأولى والأخيرة.

فمن حيث القيم الأساسيّة في حياة القرويّين فكانت تتلخّص في قيمتين أساسيتين هما: المهارة في العمل الزّراعيّ والقدرة على الإنجاب، وإنجاب الذّكور خاصّة، وهما قيمتان مترابطتان ارتباطاً وثيقاً بالمظهر العائليّ للحياة الاجتماعيّة في الرّيف، فالرّجل يرتفع قدره بالعائلة تبعاً لقدرته على العمل الزّراعيّ وقدرته عند زواجه على إنجاب أكبر عدد من الذّكور لأنّ الأرض والأولاد هما المظهران المميّزان لقوة العائلة ونفوذها بين العائلات.

ولقد تغيّرت نظرة القرويّ إلى التّعليم في ظل مشاريع التنميّة البشريّة بسبب:

– الانتشار الثّقافيّ العام في المجتمع بأسره والّذي تكون فيه المدينة مركز الإشعاع بالنّسبة للقريّة وبالتّالي وضوح أهميّة إرسال الأبناء إلى المدارس.

– قوانين التّعليم الإلزاميّ والمجانيّ جعلت الرّيفيّين يرسلون أبنائهم إلى المدارس.

– تغيّر النّظرة إلى قيمة العمل الزّراعيّ وظهور مصادر جديدة للثّروة غيره، كالتّجارة، ولقد كان التّعليم ولا يزال يُنظر إليه على أنّه مصدر ربح للقرويّين وأبنائهم على

السّواء وخصوصاً إذا وصل الابن إلى مرحلة التّعليم يمكن معها أن يجد عملاً محتوماً من وجهة نظرهم وبحسب خبراتهم في اتّصالهم بالمدينة يفضّلون أن يذهب أبنائهم إلى كليّتي الطّبّ والحقوق، وذلك لأنّ مهنتيّ الطّبّ والحقوق في رأيهم تدرّ المبالغ الطائلة على أصحابها.

– تغيّر النّظرة إلى المركز الاجتماعيّ ليرتبط أيضاً بالتّعليم إلى جانب العائلة.

ومن ناحيّة أخرى أصبحت تكلفة التّعليم كبيرة جدّاً حاليّاً في ظل انشاء الجامعات الخاصة وارتفاع معدلات القبول الجامعي بالإضافة إلى ظاهرة الدّروس الخصوصيّة حيث أصبح العلم يُشترى هو وما تبعه من مكاسب لمن يقدرون على تحمّل هذه النّفقات.

ثانياً–الاقتصاد:

تتميّز الحياة الاقتصاديّة في الرّيف في ظل تنميّة الموارد البشريّة بعدد من الخصائص منها:

– مهما تنوّعت أنواع العمل في الرّيف، فإنّ الزّراعة هي العمل الرّئيسيّ بما تشمل من إنتاج المحاصيل الزّراعيّة والإنتاج الحيوانيّ.

– يعرف الفلاح خصائص أرضه، ويعي كلّ جوانب العمليّات الزّراعيّة المختلفة، مثل: نوع التّربة وما تحتاجه من السّماد، ومتى يتمّ زراعتها، وما هو المحصول الأفضل لهذه التّربة، وسبل الرّي، ومواعيد الحرث، ومواعيد الزّراعة.

– يتحدّد برنامج العمل الزّراعيّ سنويّاً بتتابع فصول السّنة. ففي أواخر الخريف مثلاً يقوم الفلاّح بحرث الأرض، وبذر البذور أو تطعيم الشّجر. ولعلّ أهم موسم يجذب الانتباه في سوريا إنّما هو موسم الحصاد الّذي يستنفذ أكبر مجهود من الأسرة الرّيفيّة. فالفلاّح وامرأته وجميع أولاده ذكوراً وإناثاً يساهمون في هذه العمليّة الّتي ينبغي أن تنتهي

في وقت قصير. ولا عجب إذا ترك الأبناء المدرسة لمساعدة الأهل ويحوي برنامج المدرسة عادةً عطلة رسميّة في هذا الموسم لقيام التّلاميذ بمساعدة آبائهم في حصاد المزروعات.

– أنشاء بعض المصانع الصغيرة في الريف فكلّ قريّة لا تخلو من حدّاد أو نجّار أو ميكانيكيّ وقد يكرّس الصّانع نفسه لأكثر من قريّة واحدة. فإمّا أن يتنقّل هو بحسب طلبات الزبائن أو تأتيه الزبائن من قرى مجاورة.

– أنشاء بعض المتاجر الصّغيرة في الريف. وفضلاً عن أنّ كلّ قريّة تحوي متجراً على الأقل لبيع الملبوسات (كالأقمشة والأحذيّة البسيطة). أو المواد الصحيّة ومواد البناء، فإنّ بعض القرى تمتاز بوجود تاجر كبير أو أكثر لشراء الحبوب والمواشي من الرّيف وإعطاء الفلاّحين بدلاً عنها مالاً أو بضاعة.

– ولقد حدث كثير من التّغيّرات على النّسق الاقتصاديّ في الرّيف، فقد حدثت تغيّرات على نمط الإنتاج وأشكاله، حيث انتشر دخول مشروعات كبيرة إلى الرّيف، تلك المشروعات الّتي أحدثت آثاراً تخالف تماماً الآثار الّتي يحدثها دخول هذه المشروعات إلى البيئة الحضريّة، حيث إهمال الأرض الزراعيّة وإهمال العمل الزّراعي.[19]

نقول: يتميز النظام الاقتصادي في الريف بأنه نظام بسيط يعتمد على تجارة الموارد الزراعيّة، إلى جانب بعض المهن الصغيرة التي تتم بشكل عشوائي غالباً، في ظل انعدام التخطيط للمناطق التجاريّة أو الصناعيّة في أغلب البلدات والمدن في ريف درعا.

[19]الجوهري، محمد، دراسات واقعيّة في المجتمع المصريّ، القاهرة، 2005، ص96.

ثالثاً –التّرويح:

يحتاج المجتمع الرّيفيّ إلى خدمات ترويحيّة تتّفق مع طبيعة الحياة الرّيفيّة وبساطتها، تلك الحياة الّتي تعتمد على النّشاط الاقتصاديّ الزّراعيّ وتتميّز بعناصر ثقافيّة متمثّلة في القيم والعادات والتّقاليد الرّيفيّة.

ولقد بدأ الاهتمام بنشر الخدمات الترويحيّة في المناطق الرّيفيّة وذلك ضمن خطة تنميّة الموارد البشريّة وقد تمثل ذلك بقيام بعض الوزارات بإنشاء المراكز الاجتماعيّة للنهوض بالواقع الرّيفيّ من حيث الجوانب الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وقد شملت المراكز الرّياضيّة وأنشاء الحدائق.

وإذا أردنا التّحدث عن دور بعض الوزارات يمكن أن نوجزه بما يلي:

– تحاول جذب الرّيفيّين إلى الاشتراك والانضمام إلى النّوادي الرّياضيّة.
– نشر الوعي الصحيّ والثّقافيّ والاجتماعيّ بين الرّيفيّين.
– التّدريب على بعض الحرف والصّناعات مما ساهم في زيادة دخل الأسرة.
– الاهتمام بإقامة المهرجانات الفنيّة.
– تقديم برامج محو أميّة بشكل مجانيّ، وتقديم حوافز ماديّة للمسجلين في برامج محو الأميّة.

رابعاً – الدّين:

وللدّين مكانه كبيرة في المجتمعات الرّيفيّة. ويؤكّد ذلك الظّواهر الإنسانيّة، والسّلوك الإنسانيّ للرّيفيّين. فالحياة المتعلّقة بمهنة الزّراعة على وجه الخصوص يحيط بها نوع من الغموض بدرجة تفوق باقي المهن الأخرى.

فمهنة الزّراعة عرضة لقوى الطّبيعة، وتتأثّر بالظّروف الطّبيعيّة من درجات الحرارة، والبرد، والأمطار، والّتي تؤثّر في إنتاج المحاصيل الزّراعيّة.[20]

أمّا المهن غير الزّراعيّة فتعرّضها إلى الظّروف الطّبيعيّة تكون بدرجة أقلّ، إذ يمكن للعامل التّحكم في ظروف الإنتاج المختلفة في المصنع. لذلك فإنّ اعتقاد الرّيفيّين في التّفسيرات الدينيّة أكثر من اعتقاد الحضري يّنال تفسيرات. كما أنّ الأديان نشأت في مجتمعات ريفيّة. لذا فالرّيفيّون أكثر تأثّراً بالدّين من الحضريّين.

كما أنّ القائمين على مهمّة التّعليم الدّينيّ من الوعّاظ والمثقّفين الدّينيّين لهم أهميتهم في سلوك وتفكير وحياة النّاس الدّينيّة. ويتوقف ذلك على عددهم ودرجة كفاءتهم ونوع تعليمهم ومدى خبراتهم الدّينيّة ممّا له أثره على معارف العنصر البشري ومعلوماتهم الدّينيّة.

وتتحكم المعتقدات الدّينيّة الّتي قد تكون صحيحة أو خاطئة في سلوك الإنسان وتصرفاته في حياته الاجتماعيّة والاقتصاديّة. لذلك يربط الناس بين التّفسير الدّينيّ والأوضاع القائمة في الحياة. لذلك فمن المهمّ وجود الشّخصيّة المتعلّمة والمثقّفة الصّالحة للقيادة عمليّة تنميّة المورد البشريّ الدّينيّة.

خامساً– الصّحّة: يمكن إيجاز الوضع الصّحّيّ في الرّيف في ظل الاهتمام بالموارد البشريّ بما يلي:

- المسكن: في الفترة الأخيرة اختفى الشّكل التّقليديّ لاستخدام غرف المسكن والّذي قد تُستخدم فيه غرفة واحدة لأغراض عدّة كالنّوم واستقبال الضّيوف والطّعام، إلى الشّكل الّذي أصبحت بمقتضاه تختّص كلّ غرفة بالمسكن

[20] عقيل، أديب، الأصفر، أحمد، مرجع سابق، ص44.

لتحقيق غرض محدّد، كما تغيّر التّوسع في السّكن من الشّكل الأفقيّ إلى الشّكل الرّأسيّ.[21]

- الوحدات الصحيّة: تقوم الوحدات الصّحيّة بالخدمات الآتية:

1- خدمات رعايّة الأمومة والطّفولة، وتشمل:

- رعايّة الحوامل في المنزل أو الوحدة الصّحيّة أو العيادة، وتوفير وسائل الإسعاف في المستشفى، وإجراء الفحوص المعمليّة البسيطة مثل تحليل البول، وتقدير هيموجلوبين الدّم.

- الولادة سواء في البيت أو في المستشفى في الحالات المتعسّرة.

- رعايّة الأم بعد الولادة في المنزل أو الوحدة.

- رعايّة الرّضيع سواء في المنزل أو الوحدة.

- رعايّة الطّفل في سن ما قبل المدرسة.

2- الوقايّة أو السيطرة على الأمراض المعديّة: ويشمل البرنامج إجراءات لترقيّة الصّحّة بالتّغذيّة السّليمة وصحّة المنازل والتّربيّة الصّحيّة، وإجراءات الوقايّة النّوعيّة" التّحصين وصحّة اللبن ومكافحة الحشرات وتصريف الفضلات وتوفير المياه النّقيّة"، وإجراءات الاكتشاف المبكّر والعلاج الفوريّ لمنع خطر العدوى عن الآخرين، مع تسهيل

[21]الكردي، محمود، تأثير أنماط العمران على تشكيل عناصر الحياة الثقافيّة: دراسة ميدانيّة لسياقات اجتماعيّة متباينة بمصر، 2002.

إجراءات التبليغ عن الأمراض المعديّة والبحث الوبائيّ البسيط عن مصادر العدوى وانتقالها، وعزل الحالات، ومراقبة المخالطين، وتقوم بإجراءات إيجابيّة لاكتشاف الملاريا، و الدّرن، باستعمال الفحوص المعمليّة البسيطة.

3-صحّة البيئة: وتشمل صحّة المياه، والمراحيض، وتصريف الفضلات، وردم البرك والمستنقعات، وصحّة الأغذيّة، ومكافحة الحشرات، والقضاء على القوارض التّي تتغذّى على المحاصيل، وصحّة المنازل مع التّثقيف الصّحيّ في هذه الحالات.

4-حفظ السّجلات الصّحيّة البسيطة ومنها الإحصاءات السّكّانيّة، مثل عدد السّكّان في المنطقة الّتي تخدمها الوحدة، وتوزيعهم بالنّسبة للسّن والنّوع، والزّواج والطّلاق، والتّعليم، والمهنة، والدّخول ويُعتمد في ذلك على طرق المواجهة والمقابلة أثناء أداء الخدمة، وكذلك اللجان الصّحيّة.

سادساً-لغة الرّيفيّين: إذا كنّا بصدد تقديم رؤيّة جديدة للمجتمع الرّيفيّ ومحاولة قراءته وفهمه من جديد في ظلّ ما يمرّ به اليوم من تغيرات، فمن الضّروري أن نتعرّف على لغة الرّيفيّين في حياتهم اليوميّة. يقول محمد الجوهريّ في مقدمته لمعجم لغة الحياة اليوميّة إذا كانت دراسة التّراث الشّعبيّ لأيّ جماعة هي المدخل الأصدق والأدقّ لفهم الطابع القوميّ أو شخصيّة تلك الجماعة، فتلك المهمة تتكفّل بأدائها على خير وجه معرفة لغة الحياة اليوميّة الشائعة بين أفرادها، وما تمرّ به تلك اللغة من عمليات تغيّر وتفاعل وتطوّر.[22]

[22]الجوهري، محمد، معجم لغة الحياة اليوميّة، مركز توثيق التّراث الحضاريّ والطبيعيّ، المكتبة الأكاديميّة، 2007، ص20.

لقد أصبح الريفيون بفضل جهود التنميّة يستخدمون مصطلحات أكثر دقة في وصف الواقع، فقد كنا نسمع الريفيّ يشير إلى الكيلو أو أكثر من الكيلو مترات بفحجتين أو مقرط العصا. أما الأن يشير للمسافات بالأمتار، وللوزن بالكيلو.

سابعاً– توصية لتنمية الموارد البشريّة الريفيّة:

1– في الوقت الذي تنال فيه قضايا تنميّة الموارد البشريّة اهتماماً أساسياً في الاقتصاد العالمي بشكل عام فان الدول الناميّة ترغب في الإسراع بتنميّة الموارد البشريّة والبلدان المتقدمة ترغب في الحفاظ على نمو ثابت، فلم تعد تعتمد مختلف الدول على نتائج تنميّة الموارد البشريّة التلقائيّة، بل أصبحت في معظمها تريد أن تأتي تنميّة الموارد البشريّة نتيجة تخطيط مسبق يهدف إلى رفع معدلات النمو ومواجهة مشكلات التخلف والفقر، والتخطيط بمعناه العلمي والعملي أحد السُبل الرئيسيّة المؤديّة إلى التقدم الذي تطمح إليه كافة الشعوب من أجل رخائها وسعادتها من خلال تحقيق حياة أفضل لكل فرد في المجتمع، لذلك يعتبر التخطيط ضرورة حتميّة لتنسيق الجهود والطاقات واستثمارها بشكل جدي من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى إليها الدول، وتتم عمليّة التخطيط بدراسة جميع الموارد المتاحة المتوفرة لدى الدولة أو المنطقة أو القريّة، ومن ثم استنتاج النهج الذي تفرضه مبادئ التخطيط.

2–التخطيط للتنميّة الرّيفيّة ينبغي أن يتم كجزء من التخطيط للتنميّة الوطنيّة الشاملة، ولا شك أن تنميّة الموارد البشريّة الرّيفيّة المتكاملة والشاملة سوف تنهض بقطاع رئيسي من قطاعات المجتمع وبالتالي يمكن التغلب على مشكلة التخلف والفقر بشكل عام، وبذلك ترتفع مستويات المعيشة عند أبناء الريف مما ينعكس الوضع بالتالي على ارتفاع المستويات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة لسكان الريف

3- أن التخطيط للتنميّة الرّيفيّة المتكاملة يجب أن يعتمد أساساً على المعرفة الكاملة والحقيقة لأحوال الريف من حيث الموارد الطبيعيّة والبشريّة، وهذا يتطلب دراسة جغرافيّة هذه المناطق أولاً ثم يمكن البدء بالتخطيط معتمدين على التقييم الشامل لأحوال الريف لرسم سياسة تنمويّة واقعيّة ونابعة الإمكانيات والحاجيات الأساسيّة لأبناء الريف، وكذلك تذليل الصعوبات التي تواجه العمليّة التنمويّة ومحاولة حل المشكلات التي تعترضها والتنسيق المستمر بين الأقاليم المختلفة، وحتى نضمن نجاح الخطط الإنمائيّة لا بُد وأن تتولى الأجهزة الحكوميّة للدولة عمليّة تنميّة الموارد البشريّة للوصول بالخطط التنمويّة إلى حالة من المشركة الفعليّة في برامج تنميّة الموارد البشريّة الاجتماعيّة لضمان أقصى قدر من إنجاح لهذه البرامج.

- **الخاتمة :**

لقد حظيت تنميّة الموارد البشريّة اهتماماً كبيراً من خطة الدولة، حيث عملّت برامج وخطط الدولة السوريّة على استهداف و معالجة المعوقات التي تقف وراء تنميّة الموارد البشريّة، وذلك من خلال تشجيع التعليم وجعله إلزامي ومجاني هذا من جهة، ومن جهة أخرى سماحها بل وتشجيعها على أنشاء مراكز تجاريّة وصناعيّة وخدميّة في الريف السوريّ، ومن جهة ثالثة قيامها ببناء المراكز الصحية وتقديم اللقاح المجاني للوقايّة من الأمراض، وتوزيع المنشورات التي تبين طرق الوقايّة من الأمراض، وتوضح الأثر السلبي للإنجاب المتواصل على صحة الأم، ولابد من توضيح الاهميّة الكبيرة التي قدمتها الدولة في القضاء على الأميّة، وتقديم المواد الزراعيّة للفلاحين وغيرها من التسهيلات الزراعيّة وتقديم القروض للفلاحين، وأشراكها العلماء والواعظين الدينين في عجلة تنميّة الموارد البشريّة.

المراجع المستخدمة:

1. أبو زنط ، ماجدة أحمد ، عثمان محمد ، التنميّة المستدامة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها ، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع ، الأردن ، 2007.
2. جوادي، علي، طهراوي، فريد، نحو قياس أفضل للتنمية البشرية: مؤشر التنمية البشرية المقترح، المجلد 1، العدد 2، 2017، ص 162-180.
3. الجوهري، محمد، دراسات واقعيّة في المجتمع المصريّ، القاهرة، 2005.
4. الجوهري، محمد، معجم لغة الحياة اليوميّة، مركز توثيق التّراث الحضاريّ والطبيعيّ، المكتبة الأكاديميّة، 2007.
5. داود، ليلى خليل، الأصفر، أحمد عبد العزيز، الجماعة وخصائص التّفاعل الاجتماعيّ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2005.
6. السّيد، محمد زكي علي، أبعاد التنميّة المستدامة مع دراسة البعد البيئيّ في الاقتصاد المصريّ، كلّيّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة، جامعة القاهرة، 2000.
7. العبد الله، محمد، المجتمع المصري بعيون سوريّة، ط1، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، 2007.
8. عقيل، أديب زيد، والأصفر، أحمد، علم الاجتماع الرّيفيّ، منشورات جامعة دمشق، 2008.
9. العمر، معن خليل، التغير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنّشر والتّوزيع، عمان، 2004.
10. عمران، كامل، الداود، توفيق، علم اجتماع التنميّة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2008.

11.فارس، محمد، الطلاع، سليمان، أبو نمر، ريم، دور إدارة الموارد البشرية في تعزيز الأداء المؤسسي من خلال الجودة الشاملة كمتغير وسيط –دراسة تطبيقية على وزارة الصحة الفلسطينية في المحافظات الجنوبية، المجلد 11، العدد 1، 2023، ص28–45.

12.الكردي، محمود، تأثير أنماط العمران على تشكيل عناصر الحياة الثقافيّة: دراسة ميدانيّة لسياقات اجتماعيّة متباينة بمصر، 2002.

13.محمد، إبراهيم، توسيع دائرة الملكيّة في تحقيق التنميّة، ليبيا، 2005.

14.مخول، مالك سليمان، علم النّفس الاجتماعيّ، ط8، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006.

15.موشيت، دوجلاس، مبادئ التنميّة المستدامة، تر: بهاء شاهين، الدّار الدّوليّة للاستثمارات الثّقافيّة، القاهرة، 2000.

16.نشادي، عبد القادر، التنمية الريفية مفهومها ومقارباتها السوسيولوجية، مجلة المداد، المجلد 13، العدد 1، 2023، ص 9– 25.

معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس

طالب الدكتوراه: زياد مريم – كلية الآداب – جامعة دمشق

المشرف: أ. د. أسعد ملي المشرف المشارك: أ. د. ماجد أبو حمدان

ملخّص

هدف البحث إلى تعرّف معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة البحث من (248) مديراً ومديرة من مدراء مدارس طرطوس للعام الدراسي 2024/2023، ولتحقيق هدف البحث تم بناء استبانة معوقات الشراكة المجتمعية من قبل الباحث، وتضمنت (22) فقرة، موزعة على (3) محاور هي: (معوقات بشرية، معوقات إدارية، معوقات ثقافية)، وذلك بعد التحقق من صدقها وثباتها، كما تم بناء استبانة متطلبات الشراكة المجتمعية من قبل الباحث، وتضمنت (13) فقرة، وحلّلت النتائج بواسطة البرنامج الإحصائي (spss)، وقد أظهرت النتائج وجود معوقات تواجه عملية تفعيل الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس، وجاءت المعوقات البشرية بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.57)، تليها المعوقات الإدارية بمتوسط حسابي (3.55)، وأخيراً المعوقات الثقافية بمتوسط حسابي (3.45)، كما أن متطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس جاءت بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (3.43)، وانحراف معياري (0.874).

الكلمات المفتاحية: الشراكة المجتمعية، معوقات، متطلبات.

Obstacles to community partnership and its requirements from the point of view of school principals in Tartous

□ Abstract □

The research aimed to identify the obstacles to community partnership and its requirements from the point of view of school principals in Tartous. The descriptive analytical method was used, and the research sample consisted of (248) male and female principals from the school principals in the city of Tartous for the academic year 2023/2024. To achieve the research goal, an obstacles questionnaire was constructed. Community partnership was prepared by the researcher, and included (22) items, distributed over (3) axes: (human obstacles, administrative obstacles, cultural obstacles), after verifying its validity and reliability. A questionnaire for community partnership requirements was also constructed by the researcher, and included: (13) paragraphs, and the results were analyzed using the statistical program (SPSS). The results showed the presence of obstacles facing the process of activating community partnership from the

point of view of school principals in Tartous. Human obstacles came in first place with an arithmetic mean of (3.57), followed by administrative obstacles with an arithmetic mean of (3.55). Finally, cultural obstacles have an arithmetic mean of (3.45), and the requirements of community partnership from the point of view of school principals in Tartous came in at a moderate degree, with an arithmetic mean (3.43) and a standard deviation (0.874).

Keywords: community partnership, obstacles, requirements.

1- مقدمة:

حظي مصطلح الشراكة Partnership باهتمام كبير في الآونة الأخيرة، وذلك في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى اشتراك طرفين أو أكثر طوعياً بإمكاناتهما المادية والبشرية أو بجزء منها من أجل إنجاز أهداف مشتركة يرتضونها (انظر: الجليل، 2011، ص22).

ويعود الاهتمام بهذا المصطلح إلى تزايد طموحات وأهداف الشعوب مع قلة مواردها، وتزايد الوعي بالآليات الفاعلة التي يمكن من خلالها إنجاز تلك الأهداف، لذا تلجأ المؤسسات المختلفة إلى إقامة شراكة مع أقرانها كآلية فاعلة لسد الفجوة ما بين الطموحات والأهداف الهائلة والموارد المحدودة (انظر: عاشور، 2012، ص134).

وتعرّف الشراكة المجتمعية بأنها: "الجهود التطوعية التي تتم بين المدرسة والمجتمع المحلي من خلال التعاون وتبادل الخبرات والزيارات وتقديم الدعم الذي تحتاجه المدرسة" (الشوابكة، 2021، ص31).

حيث تمثل المدرسة واحدة من أهم المؤسسات الاجتماعية والتربوية التي يتم من خلالها التنمية البشرية بما يتماشى مع أيدولوجية المجتمع، فمن خلالها يتم توفير بيئة منتقاة تتكون من مجموعة خبرات لتنشئة الطلاب على أنواع السلوك ووجهات النظر والقيم التي تعتبر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمجتمع (انظر: العصيمي، 2020، ص57).

وفي هذا الإطار تشير دراسة قدومي (2008) إلى "أن انتشار مستوى الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي بين أفراد المجتمع أصبح عاملاً مهماً ليس فيما يتعلق بحجم

الشراكة، بل في نوعية الشراكة واتجاهاتها، فكلما ارتفعت نسبة الوعي وامتدت الشراكة إلى مفردات ومجالات أكثر كانت نسبة الشراكة أكبر وأكثر فاعلية".

ويعتبر سليم (2005) "أن وعي المدراء بالشراكة المجتمعية يعمل على توثيق الروابط وتضافر الجهود والتنسيق بين التنظيمات الاجتماعية والمهنية، وخلق جو من التفاهم والتعاون وتبادل الخبرات والأفكار، وتقاسم المعارف وتعزيز الثقة، وقد تصل إلى اندماج أنشطة ما وتكاملها من أجل إيجاد علاقات تعاونية فعالة تحقق الشراكة الكاملة".

وعلى الرغم من أهمية الشراكة بين المدارس ومؤسسات المجتمع المختلفة، إلا، الواقع اليوم يشير إلى ضعف هذه الشراكة، وأنها لازالت دون الطموح، فقد أشارت العديد من الدراسات كدراسة (Al-Ariqi, 2012) ودراسة (Al-Sultan, 2005)، ودراسة (العصيمي، 2020)، إلى وجود العديد من العوائق والصعوبات التي تقف أمام الشراكة المجتمعية وتحد من تفعيل مجالاتها، ومن هنا جاء هذا البحث للتعرّف على معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس.

2- مشكلة البحث:

أصبحت العملية التعليمية في وقتنا الراهن لا تعتمد اعتماداً كلياً على المدرسة وحدها بل تطورت وانتشرت لتشمل إلى جانب المدرسة، الأسرة والمجتمع كله بشتى فئاته، فالمشاركة المجتمعية هي تضافر جهود المجتمع المحلي والمدرسة معاً لمواجهة التحديات التي تحول دون تحقيق أهداف المنظومة التعليمية (انظر: عيسان، 2019، ص30).

وتمثل المدرسة مركز القيادة وبخاصة في المجتمعات الصغيرة، مما يتطلب منها دوراً أكبر في عملية التنشئة والتنمية الاجتماعية، وهذا يؤكد أهمية الإزاحة المعنوية للأسوار المدرسية، بحيث يتم تفاعل دائم ومستمر بين المدرسة والمجتمع المحيط بها بما يضمه

من منظمات حكومية وأهلية تهدف إلى تنمية المجتمع وتطويره، حتى لا تكون المدارس والجمعيات الأهلية الموجودة في محيطها وكأنها جزر منعزلة تنتمي لدول مختلفة (انظر: الشوابكة، 2021، ص18).

وعلى الرغم من أهمية الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، وأهمية دورها في تنمية المجتمع المحلي، مما يساعدها على تكوين صورة إيجابية عن نفسها في بيئتها، وبما يمكنها من الحصول على الدعم اللازم لاستمرار عملها ومن ثم تكون المدرسة أكثر فاعلية، يلاحظ أنها لم تستجيب لمتطلبات المجتمع في التنمية الشاملة، بل تقوقعت وانعزلت وأصابها الجمود لأسباب عديدة، منها التشبث بالماضي ومقاومة التجديد، "كما أن القوانين والأنظمة والعلاقات السائدة جعلتها منغلقة ومشدودة إلى إطار برنامج صارم دون الانفتاح على الآفاق الخارجية الممتدة خارج أسوار المدرسة، وهذا يعوق تحقيق أهدافها ويقلل من مساهمتها في تنمية المجتمع المحلي، رغم ما تمتلكه من موارد مادية وبشرية تحمل المجتمع تكلفة إعدادها وتدريبها" (الجليل، 2011، ص43).

وقد أشارت دراسة (قدومي، 2008) أنه مازال هناك فجوة في طريقة التعاون والاتصال بين المدرسة والمجتمع مما يبقيها مبعثرة وسطحية وغير متكاملة وتأثيرها يبقى ضعيفاً في المجتمع المحلي نظراً لضعف تطبيق مفهوم الشراكة المجتمعية في العملية التربوية من قبل الإدارة المدرسية.

لذا كان "من الضروري دراسة المعوقات التي تحول دون تطبيق الشراكة في مجتمعنا الحالي" (Kamando, 2014, pp66).

وقد أوصت دراسة (نوكتي ومنها كيفبوسجا، 2008) "بضرورة العمل على تحديد متطلبات الشراكة المجتمعية، إذ أن هناك ضعفاً من قبل الإدارة المدرسية بمتطلبات الشراكة المجتمعية وعائد هاذ إلى الجهل بمفهوم الشراكة، كما أثبتت الدراسة أنه لا توجد

أساليب تشاركية أو ممارسات فعلية لأنشطة مجتمعية خدمية من قبل الإدارة المدرسية، وإنما هي نشاطات تفتقر إلى الموضوعية والأسس المجتمعية والتي تحول دون تفعيل آليات التواصل بين المدارس والمشاركة بين المجتمع".

ومن هنا، ونظراً لقلة الدراسات المحلية (في حدود علم الباحث) التي تناولت الكشف عن معوقات ومتطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر أفراد مجتمع البحث، وما لها من أهمية على واقع العملية التّربوية، يمكن تلخيص مشكلة البحث الحالي بالسؤال الرئيسي الآتي: **ما معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس؟**

3- أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

- يتناول البحث موضوعاً هاماً وذو أهمية كبيرة في مجال التعليم، حيث تعتبر الشراكة المجتمعية أحد أساسيات التنمية المستدامة للمدارس وتعزز جودة التعليم.
- ينطلق البحث من توصيات عدة مؤتمرات وأبحاث خلص معظمها إلى ضرورة الاهتمام بتعزيز الشراكة المجتمعية.
- أهمية النتائج في تحديد التحديات التي تواجه تنمية الشراكة المجتمعية في مجال التعليم وتحديد الخطوات اللازمة لتعزيزها.
- قد يوفر للباحثين الآخرين مقياساً لتحديد معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من إعداد الباحث.
- قد يفتح البحث المجال أمام الباحثين الآخرين لإجراء المزيد من الأبحاث فيما يتعلق بالشراكة المجتمعية وعلاقتها بمتغيرات أخرى.

-قد يسهم في الوصول إلى مجموعة من التوصيات التي تساعد في صنع قرارات وتنفيذ برامج ومشروعات هادفة لتطوير وتعزيز مجالات الشراكة المجتمعية في العملية التعليمية وتحقيقها بصورة فاعلة.

4- أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى:

- تعرّف معوقات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس.
- تعرّف متطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس.

5- حدود البحث:

- الحدود الزمنية: الفصل الأول من العام الدراسي 2024/2023.
- الحدود المكانية: مدارس منطقة طرطوس.
- الحدود البشرية: مدراء مدارس منطقة طرطوس.
- الحدود الموضوعية: وتتمثل بالتعرّف على معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس.

6- مصطلحات البحث والتّعريفات الإجرائية:

- **الشراكة المجتمعية (Community Partnership):** "وهي عملية ديناميكية يتشارك فيها أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع في جميع المجالات، وهي أداة لتحسين مستوى حياة أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع في جميع المجالات، وهي أداة لتحسين مستوى حياة الأفراد تعليمياً واجتماعياً واقتصادياً، كما أنها ضرورية لحيوية ونمو المجتمعات المحيطة، وأحد المؤشرات المهمة لتحقيق التنمية المستدامة فيها" (العصيمي، 2020، ص3).
- **متطلبات:** "كل ما يتحقق بتوفيره تطبيق أو ممارسة الشراكة المجتمعية بين المدرسة والمجتمع سواء كانت المتطلبات بشرية، أو مادية، أو تنظيمية، أو فنية، أو تقنية" (Albaiz, 2020, pp33).

- **المعوقات:** "وهي العقبات التي تحول بين الإنسان وبين أدائه لعمله" (العساف، 2003، ص23). ويعرفها الباحث بأنها: كل ما يحول دون تطبيق الشراكة المجتمعية بين المدرسة والمجتمع سواء كان ذلك المعوق إدارياً أو فنياً، أو بشرياً، أو مادياً، أو غير ذلك.

7- الدّراسات السّابقة:

- **دراسة القضاة (2021) بعنوان: دور الإدارة المدرسية في تفعيل الشراكة بين المدرسة وبين المجتمع المحلي في مدارس المرحلة الأساسية في مديرية تربية محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين (الأردن).**

هدف البحث الحالي إلى التعرف على دور الإدارة المدرسية في تفعيل الشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي في المدارس الابتدائية في مديرية التربية والتعليم في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، حيث تم تصميم استبانة كأداة لجمع البيانات، وتكونت عينة البحث من (80) معلماً ومعلمة في مدارس جرش، تم اختيارهم بطريقة عشوائية، وأشارت النتائج إلى مستوى (متوسط) لدور الإدارة المدرسية في تفعيل الشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي مديرية تربية محافظة جرش. الاقتصاد) على المرتبة الثالثة بدرجة متوسطة، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لتأثير الجنس على الدرجة الكلية، بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في (الجانب التعليمي، والجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي) لصالح من الإناث، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لتأثير خبرة التدريس في مجالات (الجانب التعليمي، الجانب الاجتماعي، الجانب الاقتصادي، الدرجة الكلية)، كما أشارت النتائج إلى وجود

فروق ذات دلالة إحصائية في المجال "الاقتصادي" وجاءت الفروق لصالح الدراسات العليا)، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لتأثير المؤهل العلمي في (الجانب الاجتماعي، والجانب التعليمي، والدرجة الكلية).

- دراسة Albaiz (2020) **Preschool Teachers' Perspectives about School Partnerships with the Family and Community Obstacles in Saudi Arabia**

بعنوان: وجهات نظر معلمي مرحلة ما قبل المدرسة حول شراكة المدرسة مع الأسرة ومعوقات المجتمع في المملكة العربية السعودية.

استكشف البحث وجهات نظر معلمي مرحلة ما قبل المدرسة حول معوقات SPFC للشراكة المدرسية مع الأسرة والمجتمع (SPFC) في مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية، وتكونت العينة من (12) معلماً لاستكشاف تجاربهم مع الشراكات ضمن ثلاث مجالات اجتماعية واقتصادية مختلفة، وقد تم استخدام التحليل لتحليل استجابات المعلمين وقدم التحليل موضوعين رئيسيين؛ معوقات الشراكة، وتعزيز الشراكات. قدمت النتيجة قصصاً مختلفة لإظهار الحاجة (أو عدم الحاجة) إلى ممارسات محددة، ركزت المقابلات على تجارب المعلمين وسلطت الضوء على العديد من العوائق التي أضعفت الشراكات وشددت على الحاجة إلى تعزيز هذه الشراكات، ويجب أن يكون هذا التعزيز من مختلف المستويات والأطراف، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، المعلمين وزملاء العمل والأسر ووزارة التربية والتعليم والمجتمع.

- **دراسة الجهني (2019) بعنوان: آليات تطوير الشراكة المجتمعية بمدارس مدينة تبوك (مصر).**

هدفت الورقة إلى تطوير الشراكة المجتمعية بمدارس مدينة تبوك، ولتحقيق هذا الهدف استخدمت المنهج الوصفي، وجاءت مشتملة على الإطار العام لها، ثم محورين، تناول المحور الأول منهما الإطار المفاهيمي للشراكة المجتمعية من حيث مفهومها وأهدافها وأهميتها وأسسها ومبرراتها، وعرض المحور الثاني للآليات المقترحة لتطوير الشراكة المجتمعية، وأسفرت نتائج الدراسة عما يلي: يمكن التوصل إلى أن المجتمع المحلي ممثلاً في الأفراد (خبراء ومختصين وقادة مجتمع، ومنظمات وجمعيات أهلية يمكن أن يقوموا خبراتهم في مجال التربية والاقتصاد والفنون والآداب والعلوم وتوظيفها في الانتفاع بآرائهم ومقترحاتهم في سبيل النهوض برسالة المدرسة ومساعدتها على تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية، وذلك عن طريق: تقديم المقترحات المتعلقة بالتطورات المعاصرة من ثورة معرفية وتكنولوجية، دعم حلقات النقاش والدورات التدريبية لتنمية العاملين بالمدرسة، إيجاد الحلول للمشكلات التي تواجهها المدرسة، دعم الأبحاث والدراسات المتعلقة بالإصلاح المدرسي، عقد الندوات والمؤتمرات المشتركة بين أولياء الأمور والعاملين بالمدرسة لتبادل الخبرات، مساعدة المدرسة في تطوير خدماتها الداخلية للطلاب والخارجية لأولياء الأمور، تنظيم زيارات ميدانية لربط الإطار النظري في المناهج بما هو عملي وتطبيقي، الشراكة في دعم الاحتفالات والأعياد الوطنية والدينية والتفاعل الإيجابي مع محيط المدرسة، يمكن تفعيل الشراكة المجتمعية بين مدارس مدينة تبوك ومؤسسات المجتمع المحلي من خلال عدة آليات تتمثل فيما يلي: معرفة المدرسة لأدوارها في عملية الشراكة، تفعيل مجالس الآباء، تفعيل دور منظمات

المجتمع المدني، تفعيل متطلبات الشراكة المجتمعية، تفعيل آلية (نقل التكنولوجيا)، تفعيل برامج التعليم التعاوني، دور وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية في تفعيل الشراكة الأسرية، تفعيل التواصل مع الأسرة، تفعيل شراكة المدارس مع القطاع الخاص، تفعيل الشراكة مع الجامعات.

- **دراسة العتيبي (2019) بعنوان: دور مديري المدارس الثانوية بمدينة تبوك في تفعيل الشراكة المجتمعية (مصر).**

هدفت الدراسة إلى معرفة دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال التخطيط المدرسي. تكون مجتمع وعينة الدراسة من جميع مديري ووكلاء المدارس الثانوية بمدينة تبوك، والبالغ عددهم (76)، بواقع (33) من المدراء، و(43) من الوكلاء، تم استخدام المنهج الوصفي للدراسة، وقد استخدم الباحث الاستبانة والمقابلة كأدوات للدراسة، تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS) ،وتم استخدام التكرارات والنسب المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الارتباط بيرسون، ومعامل ألفا كرونباخ، واختبار تحليل التباين الأحادي، واختبار أقل فرق معنوي .(LSD) نتائج الدراسة: 1) أفراد مجتمع الدراسة موافقين بدرجة (متوسطة) على دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال التخطيط المدرسي، حيث بلغ المتوسط العام لموافقتهم على محور دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال التخطيط المدرسي (2.88 من 5.00). 2) أفراد مجتمع الدراسة موافقين بدرجة (متوسطة) على دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال صنع القرار المدرسي،

حيث بلغ المتوسط العام لموافقتهم على محور دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال صنع القرار المدرسي (2.70 من 5.00). 3) أفراد مجتمع الدراسة موافقين بدرجة (متوسطة) على دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال تحسين العملية التعليمية، حيث بلغ المتوسط العام لموافقتهم على محور دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال تحسين العملية التعليمية (2.92 من 5.00). 4) أفراد مجتمع الدراسة موافقين بدرجة (متوسطة) على دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال التقويم، حيث بلغ المتوسط العام لموافقتهم على محور دور مديري المدارس الثانوية في تفعيل الشراكة المجتمعية في مجال التقويم (3.05 من 5.00). 5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد مجتمع الدراسة جميع محاور الدراسة، وكذلك الدرجة الكلية لجميع لأدوار مدير المدرسة في تفعيل الشراكة المجتمعية، باختلاف متغير سنوات الخبرة في العمل الإداري. 6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) فأقل، بين متوسطات استجابات أفراد مجتمع الدراسة من العاملين في مدارس حكومية، وأفراد مجتمع الدراسة من العاملين في مدارس أهلية نحو جميع أدوار مدير المدرسة في تفعيل الشراكة المجتمعية، وكذلك الدرجة الكلية لجميع هذه الأدوار، لصالح أفراد عينة الدراسة من العاملين في مدارس أهلية. 7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين متوسطات استجابات أفراد مجتمع الدراسة، نحو جميع أدوار مدير المدرسة في تفعيل الشراكة المجتمعية وكذلك الدرجة الكلية لها، باختلاف متغير العمل الحالي.

- **دراسة عيسان (2019) بعنوان: فاعلية الشراكة المجتمعية بالمدارس الحكومية في سلطنة عمان من وجهة نظر مديري المدارس ومساعديهم (الأردن)**

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على فاعلية الشراكة المجتمعية بالمدارس الحكومية في سلطنة عمان من وجهة نظر مديري المدارس ومساعديهم، ولتحقيق أهداف الدراسة وبيان أثر متغيرات الدراسة (الجنس، المسمى الوظيفي، سنوات الخبرة، المحافظة) تم استخدم المنهج الوصفي، وتصميم استبانة مكونه من (33) عبارة موزعة على أربعة مجالات وهي أولياء الأمور، والمؤسسات الحكومية والأهلية بالمجتمع المحلي، ومؤسسات القطاع الخاص، ومؤسسات التعليم العالي، وتم اختيار عينة الدراسة والتي مثلت ما نسبته 20.10 % من مجتمع الدراسة حيث بلغت (161) مديراً ومساعداً، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: جاءت تقديرات أفراد عينة الدراسة على مدى فاعلية الشراكة المجتمعية بالمدارس الحكومية في سلطنة عمان بدرجة متوسطة في مجالي أولياء الأمور، ومؤسسات التعليم العالي، في حين جاءت عالية في مجال المؤسسات الحكومية والأهلية بالمجتمع المحلي، ومنخفضة في مجال القطاع الخاص. ووجدت فروق ذات دلالة إحصائية حسب تقديرات أفراد العينة لمدى فاعلية الشراكة المجتمعية بالمدارس الحكومية في سلطنة عمان تعزى لمتغير المحافظة في مجال أولياء الأمور لصالح محافظة مسقط، ولصالح محافظة ظفار في مجال مؤسسات التعليم العالي، كما جاءت فروق لمتغير النوع الاجتماعي في مجال أولياء الأمور والمؤسسات الحكومية والأهلية بالمجتمع المحلي، ومؤسسات التعليم العالي لصالح الإناث، في حين لا توجد فروق ذات دلالة تعزى لمتغير الجنس في مجال مؤسسات القطاع الخاص، ولم

تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير المسمى الوظيفي وسنوات الخدمة، وفي ضوء هذه النتائج تم وضع عدد من الإجراءات المقترحة والتوصيات أهمها منح صلاحيات أكبر للمشاركة في تقييم برامج وأنشطة المدرسة، وإشراك الطلبة في معسكرات العمل التطوعية، وتشجيع الأكاديميين على تقديم دورات تخصصية للمعلمين، والعمل على نشر ثقافة الشراكة المجتمعية.

- **دراسة شلش (2017) بعنوان: درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية في مدارس محافظة سلفيت الحكومية ومعوقات ذلك من وجهة نظر مديري ومديرات المدارس (فلسطين).**

هدفت هذه الدراسة إلى التعّرف إلى درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية في مدارس محافظة سلفيت الحكومية، ومعوقات ذلك من وجهة نظر مديري ومديرات المدارس الحكومية. كما تهدف الى التعرّف إلى دور متغيرات الجنس، سنوات الخدمة، المؤهل العلمي، والتخصص في استجابات مديري المدارس ومديراتها نحو درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية ومعوقاتها. ولتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد استبانة مكونة من (45) فقرة قسّمت إلى مجالات ثلاثة: يتعلق الأول بمجال الشراكة مع المجتمع المحلي، والثاني بمجال الشراكة مع أولياء الأمور، والثالث متعلق بمجال المعوقات. وتكّون مجتمع الدراسة من مديري مدارس محافظة سلفيت الحكومية ومديراتها، والبالغ عددهم (72) مديرا ومديرة، واختار الباحث عينة مسحية شاملة لمجتمع الدراسة كون المجتمع صغيرا. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية كان كبيرا وبنسبة (77%)، وكان المجال الثاني المتعلق بالشراكة مع أولياء الأمور

أعلاها، وبنسبة (85%)، ومجال المعوقات أدناها وبنسبة (71%)، وتبيّن عدم وجود فروق في استجابة المديرين لدرجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية تعزى للمتغيرات الديموغرافية على الدرجة الكلية. وفي ضوء هذه النتائج فقد أوصى الباحث بضرورة الاستعانة بوجهات نظر الآباء وخبراتهم عند تطوير السياسات وحلّ المشكلات على مستوى المدرسة، وعقد ورشات توعوية للمجتمع المحلي لزيادة الوعي بمفهوم المدرسة المجتمعية، وبيان قوة تكافل الجهود بين الطرفين لفتح أفق أوسع للتعاون.

- **دراسة الشمري (2017) مدى تفعيل الإدارة المدرسية للشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي: المعيقات وسبل التحسين (الأردن).**

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تفعيل الإدارة المدرسية للشراكة بين المدرسة والمجتمع في مدارس محافظة حفر الباطن في المملكة العربية السعودية، المعوقات وسبل التحسين، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطوير الاستبانة من الأقسام الثلاثة والتي كانت على التوالي: متغيرات الدراسة، (34) فقرة موزعة على خمس مجالات، سؤال مفتوح حول السبل المقترحة لتحسين نطاق تفعيل الشراكة بين المدرسة ومجتمع الدراسة، تكون مجتمع الدراسة من (484) مديراً ومديراً، وتم أخذ عينة عشوائية مكونة من 236 مديراً، وتوصلت الدراسة إلى أن: مدى تفعيل الإدارة المدرسية للشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي كان متوسط مدى تفعيلها. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمتغيرات الدراسة، وهناك (17) عائقاً أمام إدارة المدرسة في تفعيل الشراكة بين المدرسة والمجتمع، ومن أهم المقترحات تحسين سبل الشراكة، ومنح مديري المدارس صلاحيات أكبر، وتأهيل وتدريب أفراد ومؤسسات المجتمع للمشاركة الفعالة مع

المدرسة، ومن أهم توصيات الدراسة: توفير كادر إداري كفء وقادر على التعرف على الأنشطة المدرسية التي تلامس احتياجات المجتمع المحلي، ومنح الصلاحيات اللازمة لمديري المدارس لتفعيل الشراكة بين المدرسة والمجتمع.

- **دراسة النوح (2015) بعنوان: دور إدارة المدرسة في تفعيل الشراكة بين المدرسة وبين المجتمع المحلي: دراسة ميدانية (الأردن).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور إدارة المدرسة في تفعيل الشراكة مع المجتمع المحلي كما يراها مديرو المدارس الثانوية والمتوسطة بمدينة الرياض، واستخدم الباحث المنهج الوصفي معتمداً على الاستبانة بعد تحكيمها والتأكد من صدقها وثباتها لجمع المعلومات الميدانية، وتم توزيع الاستبانة على أفراد الدراسة وجمعها ومعالجة البيانات إحصائياً وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1) كشفت نتائج الدراسة أن دور إدارة المدرسة في تفعيل العلاقة مع المجتمع المحلي جاء بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (2.66) وقريبة جداً للدرجة الضعيفة، أما أهمية الدور فجاء بدرجة عالية بمتوسط حسابي (3.77). 2) كشفت نتائج الدراسة أن مجالاً واحد يطبق بدرجة متوسطة (مجال شؤون الطلاب) بينما بقية المجالات (مجال النشاط الطلابي، مجال الشؤون المدرسية، مجال الشؤون المالية) تطبق بدرجة ضعيفة، وأن جميع المجالات لها أهمية عالية. 3) أن المعوقات التي تواجه إدارة المدرسة لتفعيل الشراكة مع المجتمع المحلي جاءت بدرجة عالية. 4) بينت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.01 فأقل بين أفراد عينة الدراسة من مديري المدارس الحكومية، وأفراد عينة الدراسة من مديري المدارس الأهلية نحو (مدى تطبيق وأهمية الشراكة في شؤون الطلاب) و(المعوقات التي تواجه

الشراكة المجتمعية) لصالح أفراد عينة الدراسة من مديري المدارس الأهلية، وقدمت الدراسة التوصيات التالية: 1) على وزارة التربية والتعليم إيجاد أنظمة تساعد المدارس على فتح أبوابها في المساء للمجتمع المحلي. 2) على وزارة التربية والتعليم تشجيع المدارس على الاستفادة من المعلمين المتقاعدين ووضع حوافز للمتعاونين منهم. 3) على وزارة التربية والتعليم تخصيص مكتبات بعض المدارس وفتحها للمجتمع المحلي وتزويدها بالمعارف الجديدة.

تعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة العربية والأجنبية، قام الباحث ببيان أوجه الشبه والاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة، من حيث موضوع الدراسة وأهدافها، ومنهج الدراسة، بالإضافة إلى أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة، وأبرز ما تتميز به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة.

تناولت دراسة كل من القضاة (2021)، والعتيبي (2019)، ونوح (2015) تعرّف دور الإدارة المدرسية في تفعيل الشراكة المجتمعية، فيما تناولت دراسة Albaiz (2020)، وشلش (2017) تحديد معوقات الشراكة المجتمعية، وقد اهتمت دراسة كل من الجهني (2019)، عيان (2019)، والشمري (2017) بتعرّف أهمية وآليات تطوير الشراكة المجتمعية.

وقد استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في صياغة أسئلة البحث وفرضياته بالإضافة إلى بناء الإطار النظري وأداة البحث، واتفق معها من حيث منهج البحث الوصفي المستخدم، ولكن البحث الحالي يختص بتعرّف معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس، ويختلف عن الدراسات السابقة التي أجريت في بيئات مختلفة عن بيئة الدراسة الحالية.

8- الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الشراكة المجتمعية:

الشراكة في اللغة مأخوذة من المصدر (شرّك) بمعنى مخالطة الشريكين لبعضهما في أمر من الأمور، وترجمة (Partnership) هي: "شراكة شريك كركة، أي علاقة بين شركاء في موضوع محدد، وتعني اتفاق شخصين أو أكثر من أجل تنفيذ عمل ربحي" (الأحمد، 2016، ص442).

وهي "الجهود التطوعية التي تتم بين المدرسة والمجتمع المحلي من خلال التعاون وتبادل الخبرات والزيارات وتقديم الدعم الذي تحتاجه المدرسة" (عاشور، 2012، ص31).

وتعرف الشراكة المجتمعية بأنها: "عملية ديناميكية يتشارك فيها أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع في جميع المجالات، وهي أداة لتحسين مستوى حياة أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع في جميع المجالات، وهي أداة لتحسين مستوى حياة الأفراد تعليمياً واجتماعياً واقتصادياً، كما أنها ضرورية لحيوية ونمو المجتمعات المحيطة، وأحد المؤشرات المهمة لتحقيق التنمية المستدامة فيها" (العصيمي، 2020، ص3).

ثانياً: أهمية الشراكة المجتمعية في التعليم:

تعتبر الشراكة المجتمعية في التعليم أحد العوامل الرئيسية لتحقيق التعليم المستدام وتعزيز جودة التعليم، من خلال مايلي:

- **تعزيز تنمية الطلاب:** تعمل الشراكة المجتمعية على تعزيز تنمية الطلاب بصورة شاملة، حيث تساهم في تطوير مهاراتهم الأكاديمية والاجتماعية

والاستعداد للحياة، عن طريق تحسين بيئة التعلم وتوفير فرص إضافية للاستكشاف والتعلم خارج الصف الدراسي.

- **دعم التعليم الشامل:** يعزز الشراكة المجتمعية التعليم الشامل الذي يهتم بمجموعة واسعة من الجوانب الأكاديمية والاجتماعية والصحية والنفسية للطلاب. من خلال تعاون المدرسة مع الأهل والمجتمع المحلي والجهات الخارجية، يمكن تلبية احتياجات الطلاب بشكل متكامل.

- **تعزيز التواصل والتفاعل بين الأهل والمدرسة:** حيث يتم توفير فرص للأهل للمشاركة والمساهمة في صنع القرارات التعليمية ومتابعة تقدم أبنائهم، كما يمكن للمدرسة تحقيق فهم أعمق لاحتياجات الطلاب وتقديم الدعم المناسب لهم (انظر: الجهني، 2019، ص44).

- **تعزيز الدعم المجتمعي:** حيث يمكن للمجتمع المحلي المساهمة في توفير الموارد والتجهيزات اللازمة لتحسين بيئة التعلم، كما يمكن للمجتمع المحلي المشاركة في تقديم فرص تعليمية إضافية للطلاب، مثل النشاطات الثقافية والرياضية والتطوعية.

- **توفير مصادر التعلم المتنوعة:** عن طريق الشراكة المجتمعية، يمكن توفير مصادر التعلم المتنوعة والملائمة لاحتياجات الطلاب. يشارك الأهل والمجتمع المحلي في تقديم الخبرات والمهارات والمواد التعليمية التي تعزز التعلم النشط والتفاعلي (انظر: القضاة، 2023، ص34).

ويرى الباحث بأن الشراكة المجتمعية في التعليم أساسية لتحقيق تجربة تعليمية متميزة ومستدامة، فهي تعزز تنمية الطلاب وتعزيز التواصل والتفاعل بين الأهل والمدرسة وتوفير دعم مجتمعي للمدارس.

ثالثاً: معوقات الشراكة المجتمعية في التعليم:

تعد معوقات الشراكة المجتمعية في التعليم من أهم التحديات التي تواجهها المؤسسات التعليمية في مختلف أنحاء العالم، وتشير هذه المعوقات إلى الصعوبات التي تعترض التعاون والتنسيق بين المدارس والأهل والمجتمع المحلي، وفيما يلي بعض المعوقات الرئيسية التي تواجه الشراكة المجتمعية في التعليم:

1- **قلة الوعي والمشاركة:** "يعاني الكثير من الأهالي وأعضاء المجتمع من قلة الوعي بأهمية الشراكة في التعليم ودورها في تحسين جودة التعليم، وقد يكون هذا بسبب عدم التواصل الفعال بين المدارس والأهل وقلة التواصل بشكل عام.

2- **اختلاف الثقافات والاهتمامات:** قد يواجه المدرسون صعوبة في فهم اختلاف الثقافات والاهتمامات بين الأهل والطلاب والمجتمع المحلي، مما يجعل من الصعب تحقيق التوافق والتعاون الفعال" (Kamando, 2014, pp76).

3- **ضعف التمويل:** "يمكن أن يكون التمويل ضعيفاً في بعض المناطق مما يؤثر على القدرة على إقامة برامج ونشاطات تعزز الشراكة المجتمعية في التعليم، وقد يتسبب ذلك في قلة الموارد المتاحة لتطوير البرامج التعليمية وتنفيذ الأنشطة المجتمعية.

4- **ضعف التواصل والتنسيق:** يجب أن يكون هناك تواصل فعال وتنسيق جيد بين جميع الأطراف لضمان نجاح الشراكة المجتمعية في التعليم، ومع ذلك، قد يواجه

المدرسون والأهالي وأعضاء المجتمع صعوبة في التواصل ومشاركة المعلومات بشكل فعال" (Guillén, 2018,pp 145).

5- **عدم توافق الأهداف والرؤى:** قد يحدث عدم توافق في الأهداف والرؤى بين المدارس والأهل والمجتمع المحلي، مما يجعل من الصعب تحقيق الشراكة المجتمعية في التعليم، ويجب أن يعمل جميع الأطراف على التوافق في الأهداف وضمان تحقيق أفضل النتائج التعليمية للطلاب.

للتغلب على هذه المعوقات، يجب تعزيز الوعي بأهمية الشراكة المجتمعية وتقدير دور كل فرد في تعزيز جودة التعليم، يجب أيضًا تعزيز التواصل والتنسيق بين المدارس والأهل والمجتمع المحلي، وتوفير التمويل الكافي لتنفيذ الأنشطة والبرامج التعليمية المرتبطة بالشراكة المجتمعية (انظر: العتيبي، 2019، ص643).

رابعاً: متطلبات الشراكة المجتمعية في مجال التعليم:

متطلبات الشراكة المجتمعية في مجال التعليم تتضمن ما يلي:

- **التواصل الفعال:** يجب أن يكون هناك تواصل مستمر وفعال بين جميع الشركاء المشاركين في التعليم، بما في ذلك المدارس والأهل والمجتمع المحلي، ويجب أن يتم تبادل المعلومات والآراء والاحتياجات بشكل دوري ومفتوح.
- **الشفافية والثقة:** يجب أن تقوم الشراكة على الشفافية وبناء الثقة بين جميع الأطراف، ويجب أن يتم توفير المعلومات المهمة بشكل واضح ومفهوم، ويجب أن يتم التعامل بصدق ونزاهة مع جميع الشركاء.

- **المسؤولية المشتركة:** يجب أن يشعر جميع الشركاء بالمسؤولية المشتركة والانخراط الفعّال في تحقيق أهداف التعليم، ويجب على المدارس والأهل والمجتمع المحلي أن يتحملوا المسؤولية عن توفير وتحسين البيئة التعليمية وتعزيز فعالية التعليم.

- **التعاون والتحالفات:** يجب تشجيع التعاون وتشكيل التحالفات بين المدارس والأهل والمجتمع المحلي والمؤسسات الأخرى المعنية، ويمكن أن تسهم هذه التحالفات في تعزيز الفرص التعليمية وتعظيم النتائج الإيجابية للتعلم (Barnes, at al, 2009, pp20)

- **التدريب والتطوير المستمر:** يجب توفير فرص التدريب والتطوير لجميع الشركاء المشاركين في التعليم، يمكن أن يتضمن ذلك برامج التدريب المهني للمعلمين والأهل، وورش عمل للشركاء في المجتمع المحلي لتعزيز مهاراتهم ومعرفتهم في مجال التعليم.

- **احترام التنوع والشمولية:** يجب أن تكون الشراكة المجتمعية في التعليم تشجع على احترام التنوع وتكافؤ الفرص لجميع الطلاب والمجتمعات المحلية المختلفة. يجب أن يتم تأمين بيئة تعليمية شاملة وعادلة لجميع الطلاب وأن يتم تلبية احتياجاتهم التعليمية بناءً على العدالة والمساواة (انظر: شلش، 2017، ص43).

ويرى الباحث بأن الشراكة المجتمعية في مجال التعليم تتطلب التواصل الفعّال، الشفافية، المسؤولية المشتركة، التعاون والتحالفات، التدريب والتطوير المستمر، واحترام التنوع والشمولية. تحقيق هذه المتطلبات يعزز جودة التعليم ويدعم تحقيق التوازن والتنمية الشاملة للطلاب.

9- إجراءات البحث:

- **منهج البحث:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي التّحليلي نظراً لمناسبته لطبيعة البحث وظروفه، ويعرّف بأنه "أسلوب من أساليب البحث، يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضح خصائص الظاهرة، ومقدار حجمها وتغيراتها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى" (الشماس وميلاد، 2017، ص41).

- **مجتمع البحث وعينته:**

تكون المجتمع من جميع مدراء المدارس في منطقة طرطوس البالغ عددهم (248) مدير ومديرة في العام الدراسي 2023-2024، وتكونت عينة الدراسة من (228) مدير ومديرة وتم اختيارهم بطريقة المسح الشامل، وذلك بعد سحب عينة اخبار الخصائص السيكومترية لبنود أداة البحث.

- **أدوات البحث:**

1) استبانة معوقات الشراكة المجتمعية:

قام الباحث بإعداد استبانة معوقات الشراكة المجتمعية بعد الاطلاع على العديد من الدراسات والأدبيات السابقة كدراسة (القضاة، 2021)، دراسة (Albaiz, 2020) دراسة (العتيبي، 2019)، دراسة (نوح، 2015)، ودراسة (شلش، 2017)، وتكونت الاستبانة في صورتها الأولية من (22) فقرة، موزعة على (3) محاور هي: (معوقات بشرية، معوقات إدارية، معوقات ثقافية)، وذلك بعد التحقق من صدقها وثباتها، وكان تدرج

الإجابة خماسياً (دائماً– غالباً– أحياناً– نادراً– أبداً) ودرجات الإجابة تتراوح بين (5–1) من أعلى درجة إلى أدنى درجة). ثم قام الباحث بالتحقق من الخصائص السيكومترية (الصدق والثبات) للمقياس قبل تطبيقه على عينة البحث، وذلك على النحو الآتي:

أ– صدق الاستبانة:

- **الصدق الظاهري:** اعتمد الباحث الصدق الظاهري وذلك بعرض المقياس على عدد من المحكمين المتخصصين من أعضاء الهيئة التدريسية لإبداء آرائهم في صلاحية الفقرات، وبعد الأخذ بآرائهم تم حذف وتعديل صياغة بعض الفقرات، ليصبح عددها (19) فقرة، موزعة على الأبعاد الآتية:

– بعد المعوقات البشرية: له (6) من الفقرات ذوات الأرقام: (1–2–3–4–5–6).

– بعد المعوقات الإدارية: له (7) من الفقرات ذوات الأرقام: (7–8–9–10–11–12–13).

– بعد المعوقات الثقافية: له (6) من الفقرات ذوات الأرقام: (14–15–16–17–18–19).

- **الصدق الداخلي:** قام الباحث بحساب الصدق الداخلي للاستبانة من خلال إيجاد معامل الارتباط بيرسون بين كل محور والدرجة الكلية للاستبانة، كما في الجدول (1):

جدول (1) معامل الارتباط بيرسون بين كل محور والدرجة الكلية للاستبانة

	محور المعوقات البشرية	محور المعوقات الإدارية	محور المعوقات الثقافية
الدرجة الكلية للاستبانة	**0.878	**0.901	**0.909

يتضح من الجدول بأن معاملات الارتباط بين أبعاد الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة كانت جميعها موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) مما يدل أن الاستبانة يتمتع بمستوى مناسب من الصدق، وكذلك تم حساب ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للمحور، كما في الجدول (2):

جدول (2) معامل الارتباط بيرسون بين كل فقرة والدرجة الكلية للمحور

المحور	الفقرة	درجة الارتباط	مستوى الدلالة
معوقات بشرية	ضغوط العمل تحول دون إيجاد الجهد والوقت الكافي لتفعيل الشراكة.	.463**	.010
	قلة الثقة بين مدراء المدارس والمؤسسات الخارجية تؤثر على جودة العلاقة بينهما.	.722**	.000
	نقص الوعي الكافي لدى الطرفين بأهمية الشراكة المجتمعية في تحسين جودة التعليم.	.378*	.039
	المخاوف من تغيير الديناميكية القائمة وفقدان السيطرة على العملية التعليمية.	.603**	.000

	عدم توفر المهارات الكافية لتطبيق الشراكة المجتمعية.	.479**	.007
	ضعف اللغة الإنكليزية لدى بعض مدراء المدارس.	.728*	.000
معوقات إدارية	الضغوط الإدارية تمنع الاهتمام الكافي لتنفيذ برامج الشراكة المجتمعية.	.553**	.002
	غياب الدعم المالي يؤثر في إمكانية تفعيل الشراكة المجتمعية.	.672**	.000
	عدم وجود لجان علمية تتولى مهمة التنسيق مع المؤسسات المجتمعية.	.378*	.039
	قلة الحوافز والمكافئات المالية تخوف البعض من العمل دون مقابل مادي.	.463**	.010
	صعوبة الاتصال بين مدراء المدارس والمجتمع المحلي.	.403*	.002
	صعوبة إيجاد شركاء من القطاع الخاص في مجال التربية والتنمية.	.544**	.002
	الإجراءات والقوانين التقليدية تعيق تفعيل الشراكة المجتمعية.	.463**	.010
معوقات ثقافية	ضعف الاهتمام بالصحة النفسية والتدريب لمدراء المدارس.	.636**	.000
	الفجوة المعلوماتية بين المدارس والمؤسسات المجتمعية.	.445*	.002
	ضعف الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.	.417*	.022
	قلة الوعي الكافي بضرورة الشراكة المجتمعية.	.531**	.003
	عدم الرغبة في العمل مع الشركاء المجتمعيين.	.657**	.000
	تفضيل العمل الفردي على الشراكة من قبل المدرسة.	.534**	.000

يتبين من الجدول رقم (2) أنّ هناك ارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 بين كل فقرة من فقرات كل محور من محاور استبانة معوقات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس مع الدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه.

ب- ثبات الاستبانة: تم استخدام معادلة ألفا كرونباج للتأكد من ثبات أداة البحث على عينة استطلاعية مكونة من (20) وقد تم استبعادها من العينة الكلية، وبلغت قيمة معامل الثبات (0.898) مما يدل على أن الاستبيان يتمتع بدرجة ثبات عالية جداً يمكن الاعتماد عليه في التطبيق الميداني للبحث بحسب مقياس نانلي والذي اعتمد 0,70 كحد أدنى للثبات، كما تم حساب الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفية بمعادلة جيتمان وبلغت قيمته (0.800)، وعليه ومن خلال نتائج الثبات والاتساق الداخلي السابقة يتضح لنا ثبات أداة البحث بدرجة مرتفعة جداً وصدق اتساقها الداخلي مما يجعلنا نطبقها على كامل العينة.

2) استبانة متطلبات الشراكة المجتمعية:

قام الباحث بإعداد استبانة متطلبات الشراكة المجتمعية بعد الاطلاع على العديد من الدراسات السابقة كدراسة (القضاة، 2021)، دراسة(Albaiz, 2020) ، دراسة (نوح، 2015)، وتكونت الاستبانة في صورتها الأولية من (16) فقرة، ثم قام الباحث بالتحقق من الخصائص السيكومترية (الصدق والثبات) للاستبانة قبل تطبيقها على عينة البحث، وذلك على النحو الآتي:

أ- صدق الاستبانة:

- **الصدق الظاهري:** اعتمد الباحث الصدق الظاهري وذلك بعرض الاستبانة على عدد من المحكمين المتخصصين من أعضاء الهيئة التدريسية لإبداء آرائهم في

صلاحية الفقرات، وبعد الأخذ بآرائهم تم حذف وتعديل صياغة بعض الفقرات، ليصبح عددها (11) فقرة.

- **الصدق الداخلي:** قام الباحث بحساب الصدق الداخلي للاستبانة من خلال إيجاد معامل الارتباط بيرسون بين كل فقرة والدرجة الكلية للاستبانة، كما في الجدول (3):

جدول (3) معامل الارتباط بيرسون بين كل فقرة والدرجة الكلية للاستبانة

الفقرة	درجة الارتباط	مستوى الدلالة
إعطاء المزيد من الصلاحيات لمدراء المدارس في مجال التعاون مع مؤسسات المجتمع المحلي.	.544**	.002
تطوير الأنظمة والقوانين للتعاون مع المجتمع المحلي.	.463**	.010
التخفيف من القيود الإدارية في التعامل مع مؤسسات المجتمع المحلي.	.636**	.000
تفعيل مجالس أولياء الأمور بصورة تخدم تطوير الشراكة المجتمعية.	.603**	.000
استحداث وظيفة إدارية في المدرسة تتركز مهماتها في تطوير العلاقة مع مؤسسات المجتمع.	.479**	.007
تفعيل دور وسائل الإعلام قي توعية مؤسسات المجتمع المحلي بأهمية الشراكة.	.728*	.000
القيام بزيارات تعريفية من قبل إدارة المدرسة لمؤسسات المجتمع.	.553**	.002
دعوة المسؤولين في مؤسسات المجتمع إلى زيارة المدرسة.	.445*	.002
تقديم دورات تدريبية لمدراء المدارس عن أساليب تفعيل الشراكة.	.417*	.022
إقامة ندوات حوارية بين المدرسة ومؤسسات المجتمع المحلي.	.531**	.003
دعوة مؤسسات المجتمع للمشاركة في الحفلات المدرسية والمناسبات.	.657**	.000

يتبين من الجدول رقم (3) أنّ هناك ارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 بين كل فقرة من فقرات استبانة متطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس مع الدرجة الكلية للاستبانة.

ب- ثبات الاستبانة: تم استخدام معادلة ألفا كرونباج للتأكد من ثبات أداة البحث على عينة اختبار الخصائص السيكومترية المكونة من (20) وقد تم استبعادها من العينة الكلية، وبلغت قيمة معامل الثبات (0.901) مما يدل على أن الاستبيان يتمتع بدرجة ثبات عالية جداً يمكن الاعتماد عليه في التطبيق الميداني للبحث بحسب مقياس نانلي والذي اعتمد 0,70 كحد أدنى للثبات، كما تم حساب الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفية بمعادلة جيتمان وبلغت قيمته (0.888)، وعليه ومن خلال نتائج الثبات والاتساق الداخلي السابقة يتضح لنا ثبات أداة البحث بدرجة مرتفعة جداً وصدق اتساقها الداخلي مما يجعلنا نطبقها على كامل العينة.

- **مفتاح تصحيح الاستبيان:**

تكوّن سلم الإجابة من خمسة مستويات: دائماً أعطيت 5 درجات، غالباً 4 درجات، أحياناً 3 درجات، نادراً 2 درجات، إطلاقاً 1 درجة، وتم تقسيم درجة معوقات الشراكة المجتمعية ومتطلباتها من وجهة نظر مدراء مدارس طرطوس إلى فئات كالتالي: من (1-2,33) درجة منخفضة، ومن (2,34-3,67) درجة متوسطة، من (3,68- 5) درجة مرتفعة.

- **الأساليب الإحصائية:**

استُخدمت الأساليب الإحصائية الآتية: اختبار الثبات (ألفا كرونباج)، الإحصاءات الوصفية: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتكرارات.

وذلك اعتماداً على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم النفسية والتربوية (spss) للقيام بعملية التحليل الإحصائي وتحقيق الأهداف الموضوعة في إطار هذا البحث، كما تم استخدام مستوى الدلالة (5%)، ويعد مستوى مقبول في العلوم الاجتماعية والتربوية بصفة عامة، ويقابله مستوى ثقة يساوي (95%)، لتفسير نتائج البحث.

3) عرض النتائج ومناقشتها:

أولاً– النتيجة المتعلقة بالسؤال الرئيسي الأول: ما معوقات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تحليل استجابات أفراد العينة واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية على الاستبانة ككل، وكل فقرة من فقراتها، ومحور من محاورها، كما هو موضح في الجدول (4):

الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الاستجابة على الاستبانة ككل وعلى كل بعد من أبعادها وكل فقرة من فقراتها

البعد	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
معوقات بشرية	ضغوط العمل تحول دون إيجاد الجهد والوقت الكافي لتفعيل الشراكة.	3.70	1.087	مرتفع
	قلة الثقة بين مدراء المدارس والمؤسسات الخارجية تؤثر على جودة العلاقة بينهما.	3.45	0.998	متوسط
	نقص الوعي الكافي لدى الطرفين بأهمية الشراكة المجتمعية في تحسين جودة التعليم.	3.55	0.997	متوسط
	المخاوف من تغيير الديناميكية القائمة وفقدان السيطرة على العملية التعليمية.	3.60	1.114	متوسط

	عدم توفر المهارات الكافية لتطبيق الشراكة المجتمعية.	3.65	1.101	مرتفع
	ضعف اللغة الإنكليزية لدى بعض مدراء المدارس.	3.50	1.089	متوسط
	محور المعوقات البشرية	**3.575**	**1.064**	**متوسط**
معوقات إدارية	الضغوط الإدارية تمنع الاهتمام الكافي لتنفيذ برامج الشراكة المجتمعية.	3.415	1.089	متوسط
	غياب الدعم المالي يؤثر في إمكانية تفعيل الشراكة المجتمعية.	3.54	0.947	متوسط
	عدم وجود لجان علمية تتولى مهمة التنسيق مع المؤسسات المجتمعية.	3.642	1.078	متوسط
	قلة الحوافز والمكافئات المالية تخوف البعض من العمل دون مقابل مادي.	3.7	1.020	مرتفع
	صعوبة الاتصال بين مدراء المدارس والمجتمع المحلي.	3.64	1.001	متوسط
	صعوبة إيجاد شركاء من القطاع الخاص في مجال التربية والتنمية.	3.39	1.001	متوسط
	الإجراءات والقوانين التقليدية تعيق تفعيل الشراكة المجتمعية.	3.545	0.998	متوسط
	محور المعوقات الإدارية	**3.553**	**1.019**	**متوسط**
معوقات ثقافية	ضعف الاهتمام بالصحة النفسية والتدريب لمدراء المدارس.	3.47	1.24	متوسط
	الفجوة المعلوماتية بين المدارس والمؤسسات المجتمعية.	3.778	1.020	مرتفع
	ضعف الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.	3.54	1.19	متوسط
	قلة الوعي الكافي بضرورة الشراكة المجتمعية.	3.07	1.236	متوسط
	عدم الرغبة في العمل مع الشركاء المجتمعيين.	3.7	1.018	مرتفع
	تفضيل العمل الفردي على الشراكة من قبل المدرسة.	3.15	1.236	متوسط
	محور المعوقات الثقافية	**3.451**	**1.156**	**متوسط**
	درجة الاستبانة ككل	**3.526**	**1.080**	**متوسط**

نلاحظ من الجدول (4) أن استجابة أفراد عينة البحث على الاستبانة ككل جاءت بمستوى متوسط، إذ بلغت قيمة المتوسط الحسابي لاستجاباتهم على الاستبانة ككل (3.526) بانحراف معياري (1.080)، مما يشير إلى وجود معوقات تواجه عملية تفعيل الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس، وجاءت محاور معوقات تفعيل الشراكة المجتمعية بالترتيب التالي:

المعوقات البشرية بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.57) وانحراف معياري (1.06)، تليها المعوقات الإدارية بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.55) وانحراف معياري (1.01)، وأخيراً المعوقات الثقافية بمتوسط حسابي (3.45) وانحراف معياري (1.15)،

ويمكن أن يعزو الباحث هذه النتيجة إلى جود ضغوط العمل قد يكون له تأثير سلبي على تفعيل الشراكة المجتمعية في المدارس، فعندما يكون هناك ضغوط في العمل مثل الأعباء المهنية الكبيرة والمهام المتعددة، يمكن أن يصبح من الصعب على المدراء والمعلمين تخصيص الجهد والوقت الكافي لتفعيل الشراكة المجتمعية، بالإضافة إلى ذلك، قد يؤثر ضغط العمل على الدافعية والرغبة في الاستثمار الإضافي في تفعيل الشراكة المجتمعية، فعندما يكون المدراء والمعلمون مشغولون بشكل مستمر ويشعرون بالتعب والإرهاق، قد يكون من الصعب عليهم العثور على الطاقة والحماس للتعامل مع الجوانب الإضافية للعمل التي تتطلبها الشراكة المجتمعية، جميع ذلك يجعل المعوقات البشرية تحتل المرتبة الأولى في الحد من تفعيل الشراكة المجتمعية.

وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة كل من شلش (2017) والشمري (2017).

. **ثانياً– النتيجة المتعلقة بالسؤال الرئيسي الثاني:** ما متطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تحليل استجابات أفراد العينة واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية على الاستبانة ككل، كما هو موضح في الجدول (5):

الجدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الاستجابة على الاستبانة ككل

الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
إعطاء المزيد من الصلاحيات لمدراء المدارس في مجال التعاون مع مؤسسات المجتمع المحلي.	2.96	0.897	متوسطة
تطوير الأنظمة والقوانين للتعاون مع المجتمع المحلي.	3.68	0.756	مرتفعة
التخفيف من القيود الإدارية في التعامل مع مؤسسات المجتمع المحلي.	3.67	0.847	مرتفعة
تفعيل مجالس أولياء الأمور بصورة تخدم تطوير الشراكة المجتمعية.	3.39	0.987	متوسطة
استحداث وظيفة إدارية في المدرسة تتركز مهماتها في تطوير العلاقة مع مؤسسات المجتمع.	3.68	0.758	مرتفعة
تفعيل دور وسائل الإعلام قي توعية مؤسسات المجتمع المحلي بأهمية الشراكة.	3.45	0.954	متوسطة
القيام بزيارات تعريفية من قبل إدارة المدرسة لمؤسسات المجتمع.	3.08	0.965	متوسطة
دعوة المسؤولين في مؤسسات المجتمع إلى زيارة المدرسة.	2.96	0.897	متوسطة
تقديم دورات تدريبية لمدراء المدارس عن أساليب تفعيل الشراكة.	3.51	0.847	متوسطة
إقامة ندوات حوارية بين المدرسة ومؤسسات المجتمع المحلي.	3.69	0.758	مرتفعة
دعوة مؤسسات المجتمع للمشاركة في الحفلات المدرسية والمناسبات.	3.45	0.954	متوسطة
درجة الاستبانة ككل	**3.43**	**0.874**	**متوسطة**

نلاحظ من الجدول (5) أن استجابة أفراد عينة البحث على الاستبانة ككل جاءت بمستوى متوسط، إذ بلغت قيمة المتوسط الحسابي لاستجاباتهم على الاستبانة ككل (3.43) بانحراف معياري (0.874)، وجاء بند إقامة ندوات حوارية بين المدرسة ومؤسسات المجتمع المحلي بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.68) وانحراف معياري (0.758).

ويمكن أن يعزو الباحث هذه النتيجة إلى افتقار مدراء المدارس للمهارات اللازمة لتفعيل الشراكة المجتمعية، وعدم وجود الدعم الكافي من الجهات المعنية، كما أن إقامة الندوات الحوارية وإنشاء قنوات التواصل الفعالة ضروري لإيجاد مساحة للتبادل الحقيقي للأفكار والآراء والتحديات المشتركة، لتعزيز الشراكة المجتمعية، وتطوير المشاريع بين الجانبين.

وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة كل من الجهني (2019)، وعيسان (2019)، وشلش (2017).

4) الاستنتاجات:

1- وجود معوقات تواجه عملية تفعيل الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس بدرجة متوسطة على الاستبانة ككل بمتوسط حسابي (3.526)، وانحراف معياري (1.08)، وجاءت محاور معوقات تفعيل الشراكة المجتمعية بالترتيب التالي:

المعوقات البشرية بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.57) وانحراف معياري (1.06)، تليها المعوقات الإدارية بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.55)

وانحراف معياري (1.01)، وبالمرتبة الأخيرة المعوقات الثقافية بمتوسط حسابي (3.45) وانحراف معياري (1.15).

2-متطلبات الشراكة المجتمعية من وجهة نظر مدراء المدارس في طرطوس جاءت بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (3.43)، وانحراف معياري (0.874).

5) المقترحات:

1- وضع آليات وإجراءات محددة لتنظيم وتفعيل الشراكة المجتمعية في المدارس، إذ يمكن تعيين مسؤول مختص بتنظيم وتوجيه الشراكات المجتمعية في المدرسة.

2- توفير برامج تدريبية وورش عمل للمعلمين وأعضاء الإدارة لزيادة وعيهم ومعرفتهم بأهمية الشراكة المجتمعية وكيفية تنفيذها بشكل فعال.

3- تنظيم فعاليات تواصل مثل ندوات وورش عمل واجتماعات دورية بين المدرسة ومؤسسات المجتمع المحلي، إذ يمكن لهذه الفعاليات تعزيز الحوار وتعزيز الشراكة وتوفير مساحة لتبادل الأفكار والخبرات.

4- إنشاء منصات تواصل إلكترونية تمكن المعلمين وأعضاء المجتمع المحلي من التواصل والتعاون عن بُعد، يمكن أيضاً استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للتواصل ونشر الأنشطة والفعاليات.

5- الترويج لقيمة الشراكة المجتمعية وإعلام جميع أطراف المدرسة والمجتمع بالفوائد التي يمكن أن تحققها، كما يمكن استخدام وسائل الإعلام المختلفة مثل المنشورات والمواقع الإلكترونية والإعلانات لنشر رسائل التشجيع وحوافز المشاركة.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- الأحمد، هند محمد. 2016، تفعيل الشراكة بين الجامعة والمؤسسات الإنتاجية بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر الخبراء، **مجلة العلوم التربوية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد1، العدد4، ص 429-514.

-الجليل، سيد علي. 2011، **الشراكة المجتمعية بين المدارس والجمعيات الأهلية في مصر**، دار المنهل، مصر.

-الجهني، هيلة بنت ضحيان صالح. 2019، آليات تطوير الشراكة المجتمعية بمدارس مدينة تبوك، **مجلة كلية التربية**، المجلد 38، العدد 183، ص20-54.

-شلش، باسم. 2017، درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية في مدارس محافظة سلفيت الحكومية ومعوقات ذلك من وجهة نظر مديري ومديرات المدارس، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية**، مجلد 6، عدد 19، فلسطين.

-الشماس، عيسى؛ ميلاد، محمود. 2017، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**. كلية التربية، منشورات جامعة دمشق.

-سليم، محمد. 2005، **الإصلاح التربوي والشراكة المجتمعية المعاصرة من المفاهيم إلى التطبيق**، دار الفجر، القاهرة.

-الشمري، خالد بن أحمد معيوف. 2017، مدى تفعيل الإدارة المدرسية للشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي: المعيقات وسبل التحسين، **المجلة التربوية الدولية المتخصصة**، الأردن، المجلد 6، العدد1، ص245- 258.

-الشوابكة، تغريد. 2021، **الإدارة المدرسية ودورها في تفعيل الشراكة بين المدرسة والمجتمع المحلي**، دار الخليج العربي، السعودية.

-عاشور، محمد. 2012، **المدرسة المجتمعية تعاون وشراكة حقيقية**، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان.

-العتيبي، مستور محمد عويض. 2019، دور مديري المدارس الثانوية بمدينة تبوك في تفعيل الشراكة المجتمعية، **مجلة كلية التربية**، المجلد 35، عدد6، جزء 2، ص 65-98.

- العصيمي، خالد. 2020، واقع الشراكة المجتمعية وممارسة مجالاتها في جامعة الطائف من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، **المجلة التربوية**، كلية التربية، العدد التاسع والستون، السعودية.

-عيسان، صالحة عبد الله يوسف. 2019، فاعلية الشراكة المجتمعية بالمدارس الحكومية في سلطنة عمان من وجهة نظر مديري المدارس ومساعديهم، **المجلة التربوية الدولية المتخصصة**، الأردن، مجلد 8، عدد9، ص 24- 39.

-القضاة، ختام أحمد يوسف. 2021، دور الإدارة المدرسية في تفعيل الشراكة بين المدرسة وبين المجتمع المحلي في مدارس المرحلة الأساسية في مديرية تربية

محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، الأردن، عدد 10، جزء1، ص1– 41.

–النوح، عبد العزيز بن سالم بن محمد. 2015، دور إدارة المدرسة في تفعيل الشراكة بين المدرسة وبين المجتمع المحلي: دراسة ميدانية، **مجلة العلوم التربوية**، السعودية، العدد3، ص235– 315.

–قدومي، منال. (2008). دور المشاركة المجتمعية في تنمية وتطوير المجتمع المحلي: حالة دراسية للجان الأحياء السكنية في مدينة نابلس، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Albaiz, N.E. (2020). Preschool Teachers' Perspectives about School Partnerships with the Family and Community Obstacles in Saudi Arabia. ***International journal of humanities and social science****, 10*.

- Barnes, J.; Altimare, E.; Farrell, P.; Brown, R.; Burnett III, C.; Gamble, LD.; Davis, J. (2009). Creating and Sustaining Authentic Partnerships with Community in a Systemic Model. **Journal of Higher Education Outreach and Engagement**, 75(6), 15-29.

- Guillén, L.I., & Zeichner, K.M. (2018). A University-Community Partnership in Teacher Education From the Perspectives of Community-Based Teacher Educators. ***Journal of Teacher Education,*** *69*, 140 - 153.

- Kamando, A.N. (2014). **Government-community partnership in the provision of education in rural Tanzania**.